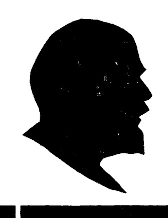

لينين
وبناء
الجيش



ترجمة

(رفعت سعيد)





كلمة المترجم :

لم يكن قيامى بترجمة هذا الكتيب محض مصادفة ، فهـو ليس مجرد كتيب قيم لكاتب عبقرى ، لكنه يحكى قصـة فترة صعبة من حياة أمة فترة واجهت فيها العدوان فى وقت كانت تبنى فيه الاشتراكية .

فكيف تمت هذه المواجهة ؟

وما هى الاساليب التى اتبعتها كى تهزم عدوا أكثر قـوة وأكثر تقدما وأكثر تسليحا ؟

ومن هذه الاجابات وبرغم الاختلافات العديدة والكبيرة بين ظروفنا الراهنة وظروف هذا البلـد ، الا أنه تبقى بين سـطور الكتاب بعض التجارب الثمينة والدروس الهامة التى يتعين علينـا أن نتأملها بامعان .

رفعت سعيد



مقـــدمة ..

فى ٦ نوفمبر (٢٥ اكتوبر) ١٩١٧ حققت الهيئة المسلحة التى خاضها العمال والفلاحون والجنود والبحارة تحت قيـــادة لينين الانتصار للثورة الاشتراكية فى روسيا .

ان نجاح ثورة اكتوبر ، والذى كان بداية لتحرير الانسانية من النظام الاستغلالى ، قد مكن من وضع أفكار الشيوعية العلمية موضع التطبيق وحقق انعطافا حاسما فى مجرى التاريخ . فقد كانت بداية لمرحلة الانتقال الثورى الشامل بالعالم من الرأسمالية الى الاشتراكية .

لكنه ما أن قامت السلطة الســوفيتية الاولى حتى تأججت مشاعر الحقد الطبقى المفضوح والنوايا العدوانية الســافرة لدى الوحوش الامبريالية .

وهكذا تشكلت القوات السوفيتية لتحمى الدولة الاشتراكية الاولى ولتمكن عملية البناء الاشتراكى من الاستمرار .

والحقيقة أن عملية تأسيس الجيش السوفيتى والبحـــرية السوفيتية وكل تاريخها يرتبط ارتباطا وثيقا باسم لينين .

لقد صاغ لينين تحليـــلا علميا عميقـــا للقوانين الموضوعية الاساسية وللملامح الرئيسية للحرب الحديثة وللشروط الضرورية لاحراز النصر فى معركة الدفاع عن وطن الاشتراكية بقوة السلاح، ولقد وضع لينين تحليله هذا منطلقا من تفهمه لطبيعة وخصائص المرحلة التاريخية المحددة .

لقـد أعـد لينين برنامجا الثـورة البروليتارية ووضع التعـاليم الخاصة بحماية الوطن الاشتراكى كذلك صـــاغ لينين الاسس النظرية والمبادىء الاساسية لبنـــاء وتدريب القوات المســلحة السوفيتية وأرسى أسس العلم العسكرى السوفيتى .

لقد سلح لينين الحزب بتوضيحه لقوانين التطور الاجتماعي واعلانه ان الامبريالية هي المصدر الوحيد لخطر الحرب في عصر التحول من الراسمالية الى الاشتراكية . كــذلك كشف لينين الطبيعة الطبقية للحروب الامبريالية وفرق بينها كحــرب رجعية وغير عادلة على الاطلاق وبين حروب التحرير القــومية والحروب الاهلية التى تشن من اجل تحقيق مطالب ثورية . ان النظـــرية اللينينية العلمية المسببات التى تؤدى الى نشوب الحــروب فى العصر الراهن وللطبيعة الطبقية لهذه الحروب قد مكنت الاحزاب الشيوعية والعمالية من تحديد استراتيجيتها وتكتيكاتها تجـــاه قضايا الحرب والســلام والثــورة فى مختلف مــراحل التطور التاريخى .

لينين وقضية الدفاع عن الوطن الاشتراكي

لقد قدم لينين خدمة تاريخية كبرى بوضعه تعاليم الدفاع عن الوطن الاشتراكي . لقد أوضح ضرورة الدفاع عن دولة البروليتاريا الظافرة ضد المعتدين الامبرياليين وحدد كيفية توجيه اقتصاديات البلاد والتوعية السياسية والتكنولوجيا من أجل الدفاع ، واوضح كيفية تأسيس المنظمات العسكرية للبلاد . كذلك فانه قد حدد دور الحزب في قيادة وتوجيه عملية تطوير القوات السوفيتية المسلحة .

ان هذه التعاليم التي تشكل المحتوى الاساسي لنظرية لينين عن الثورة الاشتراكية ، تقوم على أساس من التحليل العلمي للعصر الحديث .

وهي تنطلق من الاسس النظرية الماركسية حول قضية الوطن وحول موقف الحزب والطبقة العاملة منها .

ان الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكي ضد المعتدين الامبرياليين هو أحد المواقف الاساسية التي تحددها النظرية الماركسية اللينينية عند دراسة عملية التحويل الثوري للمجتمع . والحقيقة ان ماركس وانجلز ولينين قد أعطوا اهتماما خاصا لهذه المسألة . الا ان كتابات لينين هي التي تتضمن شروحا مستفيضة حولها .

ان ماركس وانجلز مؤسسا النظرية الشيوعية العلمية قد أوضحا الاهمية الكبرى لتنظيم الطبقة العاملة وتدريبها على حمل السلاح بالنسبة لقضية انتصار الثورة الاشتراكية وتدعيم النظام الاجتماعي الجديد . وقد انطلقا من فكرة العمل الثوري العالمي في الفترة السابقة على الراسمالية الاحتكارية فوضعا أساس فكرة الدفاع المسلح عن المكتسبات الاشتراكية . اما لينين فقد وضع تحليلا شاملا للامبريالية وتمكن على أساسه من اثراء الافكار التي وضعها ماركس وانجلز بنتائج وآراء جديدة حول الدفاع عن المكتسبات الاشتراكية للطبقة العاملة ولكل الشعب العامل .

وكان لينين هو أول من أطلق شعار « الدفاع عن الوطن الاشتراكي » كمحور للبرنامج العسكري للبروليتاريا .

وترى الماركسية اللينينية أن الدفاع عن الوطن الاشتراكي هو

حتمية تاريخية فى مسار الصراع من أجــل تأسيس وتدعيم المجتمع الجديد .

ان الضرورة الموضوعية للدفاع عن مكتسبات الاشتراكية انما تنبع من قوانين التطور الرأسمالى وخاصة فى أعلى وآخر مراحلها .. مرحلة الامبريالية .

وترى الماركسية اللينينية أن الوطن هو محتوى تاريخى وأن الارض واللغة يشكلان عنصرين هامين من العناصر المكونة له . وفى نفس الوقت فان لهذا المحتوى طبيعة اجتماعية يحـددها النظام السياسى والاقتصادى القائم .

يقول لينين « ان الوطن بما يتضمنه من ظواهر ســياسية وثقافية واجتماعية انما يمثل العنصر الاكثر حسما فى الصراع الطبقى للبروليتاريا » .

ان ماركس وانجلز بعد أن فضحا الطبيعة الطفيلية للمجتمـع الرأسمالى أكدا فى البيان الشيوعى أن « العمـال لا وطن لهم » . وتحدد هذه العبارة الوضع الحقيقى للبروليتاريا فى المجتمـع البرجوازى وتكشف عن مـدى التنـاقض الحاد بين مصالح البروليتاريا والبرجوازية فيما يتعلق بقضية الوطن البرجوازى. الامر الذى يتطلب أن تطيح البروليتاريا بالسيطرة البرجوازية وان تقيم سلطتها السياسية الخاصة بهـا ، وان تنتزع البـلاد من أيدى البرجوازية وأن تقيم وطنها الاشتراكى .

ان الطبقة العاملة والملايين الغفيرة من العـاملين لا يجدون وطنهم الحقيقى الا بعد أن يصبحوا طبقة حاكمـة تتويجا لثـورة اشتراكية . وفى غمار الثورة فان الطبقة العاملة هى وكل الشعب العامل تنتزع من البرجوازية ملكية وسائل الانتاج وتضع أسس المجتمع الاشتراكى . ويؤدى هذا الى خلق ظروف اجتماعيـة وسياسية وثقافية جديدة تتمشى مع المصالح الطبقية للعمال .

ولقد توصل مؤسسا النظرية الماركسية خلال عملية تطـوير نظرية الثورة البروليتارية الى نتيجة تقول أن الثورة يمكن كسبها فى وقت واحد فى كل أو معظم البلدان المتمدينة (أى البـلدان الرأسمالية المتقدمة) .

وقال انجلز فى كتابه « مبادىء الشـيوعية » ان الثـورة الشيوعية لن تكون مجرد ثورة فى بلد واحد ولكنها سوف تنشب

فى وقت واحد فى كل البلدان المتمدينة أى فى بريطانيا وأمريكا وفرنسا والمانيا على الاقل .

لكن ماركس وانجلز أكدا فى نفس الوقت أن الثورة البروليتارية ظاهرة غاية فى التعقيد لا يمكن تحقيقها خلال مدة قصيرة وانما تتطلب فترة طويلة من الصراع المرير بين البروليتاريا والبرجوازية وهكذا فانه يتعين اعداد العمال كى يخوضوا « غمار حروب أهلية وعالمية قد تستمر خمسة عشر أو عشرين أو خمسين عاما » .

وقد أوضحا أن البروليتاريا يمكنها أن تستولى على السلطة السياسية سواء عن طريق الهبة المسلحة والوسائل السلمية .

وقد كتب ماركس وانجلز يقــولان أن المعــركة الطبقية للبروليتاريا ضد البرجوازية سوف تصبح شديدة العنف وذلك مادامت الطبقات الاستغلالية تمتلك فى أيديهـا الامكانيات المادية ، وتمتلك أيضا قوات مسلحة دائمة أى جيوشا نظامية . أن نمو القوات المسلحة والجيوش النظامية تضاعف من صعوبة وتعقيــد مهمة البروليتاريا التى استولت على السلطة ، وتمثل فى الوقت نفسه خطرا حقيقيا على البروليتاريا فى المجتمع الرأسمالى .

لقد كتب انجلز فى « نقد دهرنج » يقول : « لقد أصبح الجيش الهدف الاساسى للدولة ، أصبح فى ذاته هدفا ، فالشـــعوب لم توجد فى نظرهم الا لتمد الجيوش بالجنود والتموين . ان الروح العسكرية قد سيطرت على أوربا ، بل لقد ابتلعتها تماما » .

ان مؤسسا النظرية الشيوعية العلمية قـد أكدا أن الواجب الاساسى للثورة البروليتارية هو تدمير جهاز الدولة البرجــوازية ودعامته الاساسية .. الجيش النظامى .

وبما أن ماركس وانجلز كانا يؤمنان بامكانية انتصار الاشتراكية فى كل البلدان الرأسمالية المتقدمة — أو فى معظمها — فى وقت واحد ، فانهما لم يتطرقا بطبيعة الحال الى مسألة الدفاع المسلح عن دولة اشتراكية واحدة .

وبالرغم من ذلك فقد كتبا يقـــولان أن الطبيعة المعقدة غاية التعقيد للعمل الثورى فى ظل عصر ما قبل الرأسمالية الاحتكارية لا تستبعد امكانية نشوب حروب بين البروليتاريا وبين الدول غير البروليتارية ونشوب حروب أهلية ، بل انهما أكدا أن مثل هــذه الحروب لا يمكن تجنبها .

ومن ثم فقد الحا على اهمية تكوين جيوش بروليتارية .

وهكذا فان مؤسسا النظرية الشيوعية العلمية قد توصلا الى نتائج نظرية هامة حول الحاجة الى تنظيم مسلح للطبقةالعاملة وحول الدفاع المسلح عن المنجزات الاشتراكية وحول امكانية قيام البلدان الاشتراكية بخوض « حروب دفاعية » .

اما فى عصر الامبريالية فقد برزت امكانيات جديدة لانتصار الثورة الاشتراكية ، وتكونت آفاق جديدة لتطورها .

وقد وضع لينين ذلك فى اعتباره عندما أكد انه فى ظل الظروف التاريخية الجديدة ، تتزايد الحاجة لكفالة الدفاع المسلح عن المنجزات الاشتراكية . وفى هذه الفترة فان المسألة الاكثر الحاحا تصبح مسألة ضمان الدفاع المسلح عن بلداشتراكى واحد.

وقد وضع لينين تحليلا عميقا للطبيعة العدوانية للراسمالية التى يتميز كل تاريخها بأنه سلسلة متتابعة من أعمال العنف والاغتصاب .

ولقد تميزت فترة تطور الراسمالية الى مرحلتها النهائية .. الى أعلى مراحلها الامبريالية ، بتزايد تدعيم الروح العسكرية ، بفرض الروح العسكرية على كل فروع الاقتصاد .. لقد تسببت الامبريالية فى نشوب عديد من الحروب وفى مآس وآلام لا حصر لها وذلك من أجل اعادة تقسيم العالم ، الذى كانوا قد قسموه من قبل ، بهدف الحصول على أرباح خيالية وفرض بقاء النظام البرجوازى بقوة السلاح .

ولقد اوضح لينين أن الدفاع المسلح عن الوطن الاشتراكى كان ضرورة موضوعية وتاريخية فرضتها ظروف خارجة عن ارادة الاشتراكية . ذلك انه وفقا لقانون النمو غير المتكافىء للبلدان الراسمالية فى عصر الامبريالية فان الاشتراكية تستطيع أنتحقق انتصارا فى بلد راسمالى واحد بينما تستمر البلدان الراسمالية الاخرى لبعض الوقت بلدانا برجوازية أو تمر بفترة ما قبل البرجوازية .

وقد وحدت الدول الامبريالية كل ما تملكه من قدراتعسكرية مع قوى الثورة المضادة المحلية فى محاولة لتدمير وطنالاشتراكية الظافرة والاطاحة بما حققته البروليتاريا من منجزات اشتراكية .

وعندما انتصرت ثورة أكتوبر الاشتراكية فى روسيا ، اصبح واجب الدفاع عن المنجزات الاشتراكية واجبا عمليا مباشرا . لقد ووجهت البروليتاريا التى حققت انتصارها فى بلد واحدبالمعتدين الامبرياليين والثورة المضادة فى الداخـــل وكان حتما عليها أن تؤسس منظمتها العسكرية الخاصة بها والقادرة عـلى الدفاع عن مكتسباتها الاشتراكية وعن مصالح الشعب العـــامل فى بلـدها وعن مصالح الثورة العالمية .

ولقـد نجحت البروليتاريا الروســية فى اقامة هـذه المنظمـة بالفعل .

لقد كتب لينين :

« منذ ٢٥ أكتوبر ١٩١٧ كان علينا أن نتخـذ موقف الدفاع ولقد اتخذناه بالفعل ، اتخذنا موقف الدفاع البطـولى عن وطن الآباء . ولسوف نبذل أقصى جهدنا للدفاع عن جمهورية روسيا الاشتراكية السوفيتية » .

وهكذا فان تطور الاحـــداث ، والتناقضات الســياسية والاقتصادية الشديدة التعقيد التى عانى منها النظام الرأسمالى قد أدت الى احداث شرخ فى الجبهة الامبرياليـــة العالمية والى تأسيس أول دولة اشتراكية للعمال والفلاحين . وقد أدى هـذا بدوره الى نشوء ضرورة تاريخية هى الدفاع المسلحعن المكتسبات الاشتراكية للعمال ضد المعتدين الامبرياليين .

لقد حدد لينين بوضوح الدوافع الاجتماعية السياسـية التى تحث على الدفاع عن الوطن الاشتراكى ، موضحا انها تنبـــع فى الاساس من تضارب المصالح الطبقية للنظامين العالميين ومنالطبيعة العدوانية للامبريالية .

لقد هزت ثورة اكتوبر الاشتراكية أركان الراســمالية هـزا عنيفا ، وكانت ايذانا ببداية عصر التحـــول من الراســمالية الى الاشتراكية .

وقد قال لينين انها كانت « بداية لتغيرات هامة تمس مرحلتين من اهم مراحل تاريخ العـــــالم مرحلة البرجـــوازية ومرحلة الاشتراكية » .

وقد تولد عنها التناقض الرئيسى فى عصرنا الراهن ، وهـو

التناقض بين الاشـــتراكية والرأسـمالية كنظامين اجتمـاعيين متعارضين .

لقد أصبحت الدولة السوفيتية منارا وملاذا لكل الشـعوب المقهورة والمستعبدة ولكل البلدان المستعمرة والتابعة . ولقد كان نجاح عملية البناء الاشتراكي فى الاتحاد السوفييتى بمثابة تأكيـد مستمر لصحة الافكار الاشتراكية وحافز على انتشارها ، كما أدى أيضا الى تعزيز مكانة ونفـوذ الاتحاد الســـوفييتى على النطاق العالمى .

ولقد كانت الدولة الاشتراكية الاولى — تمشـــيا مع طبيعة تكوينها الاجتماعى ومع الاهداف والآمال التى تسعى لتحقيقها — دولة محبة للسلام . لكن انتصار الاشتراكية فى بلد واحد حتى ولو كان كبيرا كالاتحاد السوفييتى لم يكن ليؤدى الى أبعاد خطر الحرب بصورة نهائية ذلك أن الاشتراكية لم تكن لديها القـــوة الكافية لا من الناحية الاقتصادية ولا من الناحية العسـكرية كى تمنع الغزو الامبريالى أو أن تمنع نشوب حرب عالمية أخرى .

ويتعين على المرء أن يضع فى اعتباره أن البلــد الاشتراكى الوحيد كان يمثل فى ١٩١٩ مجرد ١٦٪ من مســـاحة العـــالم و ٩ر٧٪ من مجموع سكانه و ٣٪ (أصبحت ١٠٪ قبيل الحرب العالمية الثانية) من الانتاج الصناعى فى العالم .

لقد كانت الدول الامبريالية تمتلك موارد مادية وبشرية هائلة وجيوشا نظامية ضخمة ففى عام ١٩١٤ عندما كان العالم عـــلى مشارف الحرب العالمية الاولى كان مجموع الافراد العاملين بالقوات المسلحة فى جميع الدول سبعة ملايين فقط . أما فى عام ١٩٢١ وبعد توقيع معاهدة فرساى ونزع سلاح البلدان التى هزمت فى الحرب ، وفى ظل الســلام الذى ساد بعـد انتهاء الحـرب فان مجموع جيوش البلدان الرأسمالية قد ارتفع الى ١١ مليون جندى أى مرة ونصف مثل الرقم السابق .

ولقد أكد لينين المغزى العالمى للدفاع عن الدولة الاشتراكية الاولى موضحا امكانية بناء الاشتراكية فى بلد واحد مع الاستمرار فى شن الثورة البروليتارية فى البلدان الاخرى . ولقـــد كان الدفاع عن الوطن الاشتراكى واجبا أساسيا وملحا خلال الاشهر

الاولى للحكم السوفييتى . وفى هذه الفترة بالذات ، فى هــذه المرحلة التاريخية الحاسمة ، أوضح لينين كيفية البــدء فى تنظيم عملية الدفاع عن الجمهورية السوفيتية ركيزة وقاعدة الثــورة البروليتارية العالمية .

لقد أثبت لينين بالدليل القاطع أن انتصار ثورة اكتوبر ســوف يؤدى الى تصاعد الثورة البروليتارية العالمية ، وان الثورة العالمية سوف تتعزز باستمرار مع تزايد قوة الدولة الاشتراكية الاولى ومع تمكن عدد آخر من الدول من الانفلات من اسار الامبرياليــة ومن السير فى طريق الاشتراكية . وقد أكد لينين أن ذلك ســوف يصعد من حدة الصراع ضد الامبريالية حتى يمكن احراز النصر النهائى للاشتراكية على نطاق العالم كله .

وقد أوضح لينين أن الحفاظ على الدولة السوفيتية ودعمها ، وان انجاح عملية البناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى همــا واجبان تاريخيــان لهما مغــزى عالمى ؛ ذلك أن قيــام الشعب السوفيتى بانجاز هذين الواجبين يعنى وفاءه بواجبــه الأممى تجاه عمال العالم . وفى نفس الوقت فقد أكد لينين أن عمـــال العالم أجمع يتطلعون الى الاتحاد الســـوفيتى كنموذج للمجتمع الجديد الذى ينشدونه وانهم سوف يقدمون له كل ما يستطيعون من عون .

ولم يمل لينين مطلقا — وهو الوطنى والاممى العظيم — من تكرار أن العمال الذين يدافعــون عن وطنهم الاشـــتراكى ضد الامبريالية انما يخدمون فى نفس الوقتمصالح الاشتراكية العالمية وانهم لا ينطلقون باى حال من الأحوال من الرغبة فى اقامة دولة كبرى متسلطة . وقد كتب لينين يقول :

« .. اننا نؤكد أن مصالح الاشتراكية ، ومصالح الاشـــتراكية العالمية أسمى من المصالح القومية ، وأسمى من مصالح الدولة . اننا ندافع عن الوطن الاشتراكى » .

ومرة أخرى يوضح لينين أن « قيامنا بواجب الدفاع عنوطننا الاشتراكى انما يعنى تحقيق مصالح الاشتراكية العالمية » .

ولقد كان الحزب الشيوعى للاتحاد السوفييتى والقـــوات

المسلحة السوفيتية مخلصين دوما لهذه الوصية التى أكدها القائد العظيم .

وبعد أن برهن لينين على صحة النظرية القائلة بالضرورة التاريخية للدفاع عن منجزات الثورة الاشتراكية ، قدم تخطيطا متقنا لعملية تنظيم الدفاع عن البلاد وحدد المنطلق الدياليكتيكى الذى يرسم وسائل وأشكال الصراع ، واضعا فى الاعتبار الظروف التاريخية المحددة والعلاقات الطبقية القائمة سواء فى هذا البلد بالذات أو على النطاق العالمى .

وفور انتصار ثورة أكتوبر اتخذ الحزب الشيوعى والحكومة السوفيتية خطوات مباشرة للانسحاب من الحرب الامبريالية ومن أجل اقرار السلام . ذلك أن الدولة السوفيتية الوليدة التى شرعت فى بناء المجتمع الجديد كانت فى أشد الحاجة الى اقرار السلام وفوق ذلك فان ذلك الصلح الذى عقد مع ألمانيا كان سبيلا مؤكدا للدفاع عن الوطن الاشتراكى .

والحقيقة أن جهود لينين من أجل وقف الحرب ومن أجل اقرار سلام وطيد ، كانت فى واقع الأمر شكلا من أشكال الدفاع عن الوطن الاشتراكى .

لقد شعر لينين أنه من الممكن بل ومن الضرورى تقديم بعض التنازلات وتوقيع معاهدات مع الدول الامبريالية بهدف حماية البلاد . ومن ناحية أخرى فقد أكد لينين أن الدفاع المسلح عن الاشتراكية هو ضرورة حتمية وتاريخية ذلك انه بدون مثل هذا الدفاع المسلح فان الدولة الاشتراكية لن تستطيع أن تبنى قوة كافية تجابه خطر الهجوم الامبريالى .

ولقد شن لينين صراعا عنيفا ضد « الشيوعيين اليساريين » وضد تروتسكى الذين عارضوا عقد الصلح مع ألمانيا والذين تبنوا تكتيكات تنادى بما سمى بالحرب الثورية ، والتى كان تطبيقها يلحق الكوارث بالجمهورية السوفيتية فى سبيل « دفع » الثورة العالمية الى الامام . ولقد كتب لينين ان نظرية كهذه تتناقض تماما مع الماركسية ، ذلك أن الماركسية كانت ترفض باستمرار فكرة « دفع » الثورات ، فان هذا الدفع يؤدى الى زيادة حدة العداء الطبقى الامر الذى يهدد الثورات بالخطر . ولقد كانت نصوص المعاهدة المعقودة مع ألمانيا قاسية بشكل لا يصدق ، الا أنه لم يكن

هنـــاك خيـــار آخـــر . ففي ذلك الوقت كانت الجمهـورية السـوفيتية تفتقر الى الجيش الذى يمتلك القوة الكافية لهـزيمة المعتدين الامبرياليين وكان استمرار الحرب لا يعنى سوى تدمير الجمهورية .

ولقد أكد لينين باستمرار أن الحكومة السـوفيتية على استعداد لان تبذل كل ما فى وسعها كى يستمر السلام لاطول أمد ممكن .

وقد أعلن لينين « اننا نعد العمال والفلاحين بأن نفعل أى شىء يكفل تحقيق السلام » . وقال « لسوف نسعى الى ذلك لكنه اذا ما هاجم الامبرياليون روسيا السوفيتية فان شعبنا المحب للسلام، وكل العمال سوف يهبون حتما كرجل واحد للدفاع عن وطنهم » .

وفيما يتعلق بالدفاع عن الوطن فان لينين قد وقف بحـزم ضد تلك الشعارات المغلفة بالثورية حول الحرب الثورية وصمم على ضرورة القيام باعداد الوطن الاشتراكى اعدادا جـادا وطويل الأمد للدفاع عن نفسه وذلك من خلال تطوير اقتصاديات البـلاد وتنظيم أعمال السكك الحديدية واسـتعادة الانضباط الثـورى الحازم .

ومن أجل الدفاع عن الوطن كان من الضرورى تأسيس جيش أحمر قوى من العمال والفلاحين ، جيش قادر على صد أى هجوم امبريالى .

ولا شك فى أن القدرة العسكرية للدولة السوفيتية والطاقات الدفاعية لجيشها انما تعتمد فى الدرجة الاولى عـــلى الأوضاع الاقتصادية للبلاد . وقد أدرك لينين أن هذه الاوضاع الاقتصادية تلعب دورا حاسما فى الحرب الحديثة .

ولقد أدى توصل روسيا السوفيتية الى السلام وانسحابها من الحرب الى تمكينها من اعادة تنظيم اقتصاديات البلاد عـــلى أساس من ديكتاتورية البروليتاريا وذلك بتأميم البنوك والصناعات الثقيلة .

لقد أدرك لينين أن القدرات الاقتصادية والعسكرية للبـــلاد تعتمد أولا وقبل كل شىء على تطوير الصناعات الثقيلة تطـويرا شاملا ، والقيام بتعديلات جذرية فى مجال الزراعة . ووضــــع الاساس المتين للاسلوب الاشتراكى فى الانتاج .

وخلال تحديده لوسائل تنظيم الدفاع المسلح عن الوطن أكد

لينين امكانية احراز النصر فى هذه الحرب . موضـــحا كيف أن الاشتراكية تستطيع أن تتغلب على الرأسمالية فى مختلف المجالات الاقتصادية والعلمية والتـــكنولوجية والســـياسية والمعنـوية والعسكرية . وأوضح لينين ايضا أن هذه الحرب المظفرة لابد لها وان تحاض وفقا للقواعد الاشتراكية والاقتصادية الجديدة .

وأوضح لينين ان انتهاء الحرب لصالح الاشتراكية يعتمـد فى الاساس على تفوق الاشتراكية على الرأســـمالية فى الجانب السياسى والمعنوى . ذلك أن الجانب المعنوى يوضح درجة التأهب السياسى ومدى وحدة الشعب والجيش ومـــدى ولائهم للنظام الاجتماعى القائم وللسياسة التى تنهجها الحـــكومة وموقفهم من الاهداف التى تنشد الحرب تحقيقها . ان الدور الحاسم الذى يلعبه الجانب السياسى والمعنوى فى مجرى الحرب وفى نتائجها أنما يعزى الى الاثر الفعال الذى يمارســه الشعب فى الحـرب الحديثة .

وقد أوضح لينين أن القوة الوحيدة القادرة على تعبئة كـل مورد من موارد القوة فى البلاد وعلى أن تحفز الجماهير لتخوض نضالا بطوليا وان تنظمها وتقودها حتى النصر .. هذه القـــوة الوحيدة هى حزب ماركسى ثورى وثيق الارتباط بالشعب وشديد الاخلاص لمبادىء الاممية البروليتارية .

· ان تاريخ الدولة السوفيتية قد أكد بما لا يدع مجالا للشك قوة وحيوية أفـــكار لينين حـــول الدفاع المســلح عن الوطن الاشتراكى .

لقد خاض الشعب السوفييتى غمار تجارب قاسية . لقـــد أمضى قرابة ثلث الخمسين عاما التى تمثل عمر الحكومة السوفيتية سواء فى فترات حرب أو فى فترات لاعادة بناء الاقتصـــاد الذى خربته الحرب .

لقد شن الامبرياليون حربين دمويتين ضد الشعب السوفييتى ـ الحرب الاهلية فى ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ والحرب الوطنيـة العظمى فى ١٩٤١ ـ ١٩٤٥ .

ولقد كانت الحرب الاهلية فى الاتحاد السوفيتى هى الحـرب الوطنية الاولى للدفاع عن منجزات ثورة اكتوبر · والشىء المؤكد

هو أن الثورة الاشتراكية لم تكن هي السبب في اشعال الحرب . ذلك ان الحرب قد فرضت فرضا على الجمهورية السوفيتية الوليدة، فرضتها الطبقات الاستغلالية المخلوعة بمساعدة امبرياليي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واليابان وغيرها من البلدان .

ان امبرياليي الدول المتحالفة ضد الاتحاد السوفييتي قد حاولوا الاطاحة بالجمهورية السوفيتية مستندين الى مســــاعدة الجيش الالماني . وأسسوا علنا جيشا للتدخل ، وساندوا الثورة المضادة بالداخل بكل الوسائل الممكنة ، وقاموا بالاشراف على عمليات فرق الحرس الابيض . ولقد أكد لينين أن كولشاك ودينيكين — وهمـا أخطر الأعداء المساحين للدولة السوفيتية — كانا يستــندان أساسا الى المساعدات التي حصلا عليها من دول التحالف . وقال « لو لم تكن هذه المساعدات التي حصلا عليها من دول التحالف (بريطانيا — — فرنسا — أمريكا) لانهارت مقاومتهما منذ أمد بعيد ، ذلك ان هذه المساعدات هي التي منحتهما بعض القوة » .

وفي هذه الظروف البالغة الصعــــوبة والخطر ، عندما كانت روسيا السوفيتية أشبه بقلعة محاصرة بحلقة من النيران المشتعلة، وجه الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية نداءهما الى الشعب ليخوض غمار حرب وطنية ، عادلة وثورية .

وطوال ثلاث سنوات كاملة وفي ظل صعوبات بالغة القســـوة ونقص شديد في الموارد ، استطاع الشــعب السوفييتي أن يصــد التدخل العسكري العنيف الذي شــنته الوحــوش الامبرياليــة وعناصر الثورة المضادة في الداخل .

وتحت قيادة الحزب وزعيمه العظيم قدم الشعب السوفييتي والجيش السوفييتي بطولات خارقة ، وعبر عن وعي عظيم وايمان عميق بالمبادىء الاشتراكية ويقين لا يحد بانتصارها .

ولقد تمكن لينين بفضل تحليله لعـــلاقات القوى بين الدولة السوفيتية الفتية وبين الدول الامبريالية خلال مرحلة التــدخل الاجنبي المسلح والحرب الاهلية وبفضل تحليله لامكانيات احــراز النصر ، تمكن من استخلاص عدة نتائج هامة كانت ضرورية لتفهم طبيعة الدور الحاسم الذي يتعين على الحزب الشيوعي أن يقوم به في تنظيم عملية الدفاع المسلح عن الوطن .

لقد كان انتصار الشعب السوفييتي نتيجة منطقية ومتوقعة. يقول لينين « لقد واجهنا القوة العسكرية البالغة الضخامة والتفوق التكنولوجي لدول التحالف الامبريالي بمحاولة التغلب على هذا التفوق على الرغم من الثمن الفادح الذى كلفتنا اياه هذه المحاولة. لقد خرجنا من هذه الحرب منتصرين لان الحرب كانت مجرد استمرار للثورة ، كانت استمرارا للسياسة الشيوعية ، سياسة البروليتاريا ، الطبقة التى تستطيع أن تقود جماهير الشعب. لقد انتصرنا لان وطننا كان يعيش فى ظل ديكتاتورية البروليتاريا ولان الدولة السوفيتية الوليدة حظيت بتأييد ومساندة الجماهير العاملة فى العالم أجمع » .

لقد استطاع الحزب الشيوعى تحت قيادة لينين ان ينظم وان يقود النضال الظافر للشعب السوفييتي ضد القوات المتحالفة للامبريالية الاجنبية وضد الثورة المضادة بالداخل . ان انتصار الشعب السوفييتي فى الحرب الاهلية يعنى هزيمة الامبريالية العالمية هزيمة سياسية وعسكرية ويعنى أيضا قوة ومناعة الدولة السوفيتية الفتية .

لكن قطاع الطرق الامبرياليين لم يكفوا مطلقا عن مؤامراتهم التى تستهدف تدمير الدولة الاشتراكية الاولى بقوة السلاح . وقد اكد لينين أكثر من مرة أن الجمهورية السوفيتية قد صدرت عن نفسها المحاولة الاولى للغزو الامبريالي وان علينا ان نتوقع محاولات أخرى عديدة ، وان الدولة السوفيتية ستظل دوما على قيد أنملة من التدخل المسلح ضدها . ولهذا فان لينين وهويحدد مهام بناء الاشتراكية قد ابرز أهمية الحذر الدائم والعمل المستمر على زيادة القدرة الدفاعية للبلاد .

لقد أوضح لينين دوما خطر المخططات العدوانية الامبريالية ضد الجمهورية السوفيتية موضحا فى نفس الوقت الوضع البالغ الصعوبة الذى يعيشه بلد اشتراكي وحيد تحيطه بلدان رأسمالية معادية . وفى عام ١٩٢٠ قال لينين :

« يتعين علينا ان نتذكر ان العالم الراسمالى كله مدجج بالسلاح من قمة رأسه الى أخمص قدمه منتظرا لاية فرصة قد تسنح ، محاولا ان يتخير أفضل الظروف من الناحية الاستراتيجية

وأن يدرس كل امكانية ممكنة للهجوم علينا . ويتعين علينا الا ننسى ولو للحظة واحدة انهم لا يزالون يملكون الى جانبهم كل القـدرات الاقتصادية والعسكرية . واننا لا زلنا ضعافا – عـلى النطاق العالمي – لكننا ننمو بسرعة ونزدادقوة ، اننا ننتزع من أيدىأعدائنا السلاح تلو الآخر . لكن العدو يتربص بالجمهورية السـوفيتية الدوائر » .

وبالرغم من هذه الظروف البالغة الصـعوبة فقـد استطاع الشعب السوفييتى أن يعيد بناء اقتصاده وأن ينفـذ خطة لينين لبناء الاشتراكية . لقد استطاعت الصناعة الاشتراكية ، والزراعة الجماعية والثورة الثقافية ،أن تحيل الاتحاد السوفييتى الى بلد ذى صناعة وزراعة متقدمة . وقد مكنـه ذلك من أن يبنى قـواه الدفاعية على نفس المستوى المتقدم .

ثم جاءت الحرب الوطنية العظمى التى خاضـها الاتحـاد السوفييتى ضد الثنائى الامبـريالى المانيا النـازية والعسـكرية اليابانية فكانت أشد قسوة ومرارة . لقد بنى الامبرياليون آمالهم على أن أعمال القرصنة التى شنوها ضد الاتحاد السوفييتىسوف تعيد الرأسمالية الى البلاد وسوف تقضى على الاستقلال الوطنى للشعوب السوفيتية وعلى سيادتها وتمكنهم من ابادة الملايين من ابناء الشعب السوفييتى . كذلك بنى الامبرياليون آمالهم عـلى ضرب الحركة العمالية الثورية فى بلادهم وعلى قهر حركة التحرر الوطنى الصاعدة فى المستعمرات والبلدان التابعة .

ولقد كانت الحربالوطنية العظمى أشد الحروب التىخاضتها روسيا هولا . ولقد عانى الشعب السوفييتى أكثر ما عانى خلال الأشهر الأولى من الحرب عندما اندفع الجيش الهتلرى وحلفاؤه مدججا بالسلاح مستندا الى انتصارات عسكرية متتالية طـوال عامين كاملين ومستندا الى كل اقتصاديات أوربا تقريبا ، ليشن هجوما مفاجئا على الاتحاد السوفييتى مجبرا القوات السوفيتية على أن تخوض معارك دفاعية غاية فى العنف . وعلى اية حال فان هذه الصعاب الجمـة قد عجـزت عن أن تضعف الروح القتاليـة للقوات السوفيتية المسـلحة أو أن تضعف من تماسك الشعب السوفييتى أو أن تهز ثقته المطلقة فى قضيته العادلة . وتحت قيادة

حزب لينين تحولت البلاد جميعا الى معسكر للقتـــال . وخلف خطوط العدو تصاعدت حركة قوية للانصار . واستجابة لنـداء الحزب نهض الشعب السوفييتي ليخوض غمار الحرب الوطنيـة وليشن نضالا بطوليا أفسد كل خطط وحسابات الغزاة النازيين .

ولقد أثبتت الحرب الماضية مرة أخرى صحة السياسةالبعيدة النظر التى أنتهجها الحزب الشيوعى للاتحاد الســوفييتى والتى قامت فى أوقات السلم على أساس الاسراع بعملية التحـــول الاشتراكى . وقد أدى هذا الى تمكين البلاد من مجابهة جحـافل الغزاة النازيين وأن تدحرهم فيما بعد . ان هذا الانتصـار هو دليل حى على التفوق الساحق للاشتراكية على الراسمالية وهو برهان لا يدحض على الكفاءة الفائقة للنظام الاشتراكى .

وبعد هزيمة المانيا النـازية والعسـكرية اليابانيـة ، احرزت الاشتراكية مزيدا من القوة . فقد خلقت ظروف مواتية لتأسيس الديمقراطيات الشعبية فى عدد من بلدان أوربا وآسيا ، كـذلك أتيحت الظروف أمام الحركات العمالية وحركات التحرر الوطنى لتحقق مزيدا من الانتصـــارات . وقد ازدادت مكانة الاتحــــاد السوفييتى ونفوذه فى الميدان الدولى زيادة ضخمة .

ان المعنى الحقيقى للانتصار الذى أحرزه الشعب السوفييتى والقوات المسلحة السوفيتية هو أن الامبريالية العالمية قد منيت للمرة الثانية بهزيمة عسكرية وسياسية عند محاولتها تدميرالدولة الاشتراكية .

ومرة أخرى يؤكد التاريخ صحة نبوءة لينين القائلة « ان الامة التى تدرك فيها غالبية العمال والفلاحين وتشعر وتحس احساسا فعليا انها تقاتل من أجل حماية سلطتها السـوفيتية ، من أجل حكم الشعب العامل ، من أجل قضية سيكفل تحقيق النصر فيهالهؤلاء العمال والفـــلاحين ولاولادهم الحق فى التعليم والحق فى كل ما ينتجه العمل البشرى من ثمار . ان أمة كهذه لا يمـــكن ان تقهر » .

وهكذا تغير ميزان القوى العالمى لصـالح الاشتراكية . لقـد ظهر الى الوجود نظام اشتراكى عالمى .. وتماما ، كما تنبأ لينين ، فان العالم يشهد الآن نمو القوى الاشتراكية . ان الاشـــتراكية

تصبح الآن أكثر فأكثر عنصرا حاسما فى التطور الاجتماعى . ان النظام الاشتراكى العالمى والقوى المناضلة ضد الامبريالية والمناضلة من أجل اعادة التنظيم الاجتماعى للمجتمع قد أصبحت تمثل الآن العنصر الحاسم فى مجرى التطور التاريخى فى عصرنا الراهن .

وعندما خرج الاتحاد السوفييتى مظفرا من الحرب واصل عملية بناء الشيوعية على ارضه . وبعد ان التأمت جراح الحرب مارس الشعب السوفييتى نضالا بطوليا جماعيا لانجاز الخطط الاقتصادية لفترة ما بعد الحرب محققا نجاحات باهرة فى مجالات الاقتصاد والثقافة والعلوم والتكنولوجيا ، محققاً ارتفاعا ملحوظا فى مستوى المعيشة . ان النمو الهائل فى القدرات الاقتصادية والعسكرية والسياسية للاتحاد السوفييتى خلال السنوات الاخيرة قد عزز من نفوذه فى المعترك الدولى .

ان التاريخ يوضح باستمرار أن ميزان القوى العالمية يتجه دوما لصالح الاشتراكية ولصالح الحركات العمالية وحركات التحرر الوطنى .

وعلى الرغم من ذلك فان قضية تنظيم الدفاع المسلح عن الاشتراكية لا تزال كما كانت قبلا مسألة حاسمة . وبينما تزداد الامبريالية ضعفا على ضعف فان طبيعتها العدوانية لا تزال كماهى ولا تزال تمثل خطرا على السلام والديمقراطية والاشتراكية ولا زالت تمثل المصدر الوحيد لخطر الحرب فى عصرنا الراهن .

ولقد شهدت السنوات الاخيرة تصعيدا مستمرا للاعمال العدوانية من قبل الامبريالية . ان تفاقم الازمة العامة للنظام الراسمالى والتناقضات التى تتفجر بداخله تزيد من سعار الامبريالية فهى تحاول أن تجد لنفسها مخرجا من خلال الاستفزازات والمؤامرات والتدخل العسكرى المباشر .

وهكذا شدد المعتدون الامبرياليون من نشاطهم التخريبى ضد البلدان الاشتراكية وضد الدول التى تنهج طريق التطور غير الرأسمالى .

وتمثل الامبريالية الامريكية ، التى تتخذ صفة رجل البوليس الدولى .. تمثل القوى الرجعية الاساسية فى عصرنا الراهن .

ان الامبرياليين الامريكيين يشنون حربا اجرامية ضد الشعب الفيتنامي ، ولقد ساعدوا وحرضوا على العدوان الاسرائيلي ضد الشعوب العربية في الشرق الاوسط ، وهم يتدخلون تدخلا فظا في شئون الكثير من دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وهم يسعون لاحياء الروح العسكرية في المانيا الغربية . انالاحتكارات الامريكية تسعى الى صبغ الاقتصاد بصبغة عسكرية وتنغمس تماما في عملية الاتجار بالاسلحة ، وهي تعد كي تجر العالم نحو هاوية حرب نووية .

ان الموقف الدولي الراهن يتسم بالتعقيد الشديد والحساسية البالغة . ويتحتم العمل على كبح جماح القوى الرجعيــة وعلى رأسها الامبريالية الامريكية .

لقد تزايدت احتمالات قيام الامبرياليين بالهجوم على الاتحاد السوفييتي وغيره من البلدان الاشتراكية . وهكذا فان القوات السوفيتية المسلحة تواجه الآن واجبا جديدا أكثر تعقيدا لحماية المنجزات الاشتراكية .

لقد وضع ماركس وانجلز القضايا النظرية الاساســية التي تناقش مسالة الدفاع المسلح عن منجزات الاشــتراكية وطبيعة المؤسسة العســكرية التي تقيمها البروليتاريا المنتصرة . لقــد اوضحا بالاسانيد العلمية ضرورة تدمير جهاز الدولة البرجوازية وتسريح جيشها وبوليسها وموظفيها باعتبارها أدوات لاســتغلال وقهر العمال ، والعمل بعد ذلك على اقامة مؤسسة عســكرية جديدة للبروليتاريا . ولقد أوضحا أن تحرير البروليتاريا واقامة علاقات اجتماعية جــديدة ، ســوف يؤدي الى قيــام مؤســسة عسكرية جديدة أكثر تقدما ، والى تطوير العلم العسكري عــلى أساس من المزايا التي يتيحها قيــام النظام الاشــتراكي وتطــور المستوى المادي والتكنيكي للمجتمع الاشتراكي كما سيؤدي أيضــا الى ارتفاع المستوى السياسي والمعنوي لافراد القــوات المسلحة . وقد اوضح انجلز ان قيام المؤسسة العسكرية الجديدة والمنهج الجديد تجاه الحرب هو تعبير عن الجانب العسكري من عمليــة خلاص (تحرير) البروليتاريا .

والحقيقة أن ضرورة ازالة جهاز الدولة البرجوازي قد برزت منذ فترة طويلة ، منذ كوميون باريس ١٨٧١ التي عمــدت الى

تكوين مؤسستها العسكرية الخاصة بها .. فكونت الحـــرس الوطنى الذى تولت رئاسته اللجنة المركزية . وقد تكون هـــذا الحرس من الجماهير الواسعة لبروليتاريا باريس .

وعندما كان ماركس يحلل تجربة كوميون باريس فانه كثيرا ما كان يثنى على المهـــارة الفائقة التى ابدتها بروليتاريا باريس والبطولة التى حاربت بها أعداءها الطبقيين واستعدادها « لملاقاة الجحيم » فى سبيل أهدافها . وقال ماركس ان الدرس الهـــام الذى يتعين أستخلاصه من تجربة كوميون باريس هـــو انه يتعين على البروليتاريا الثائرة أن تحطم الجهاز البيروقراطى والعسكرى للبرجوازية ، وأن تكون لنفسها قواتها المسلحة الخاصة بها التى تشن بها هجماتها على قوات الحكومة .

كذلك قدم ماركس وانجلز بعض الافكار الاساسية حول بنـــاء المؤسسة العسكرية للبروليتاريا . وقال انجلز انه اذا ما انتصرت الاشـــتراكية فى البلدان الرأســـمالية الرئيسية فى وقت واحد فانه من الممكن فى هذه الحالة تسريح الجيوش النظامية الدائمةواقامة ميلشيا شعبية بدلا منها . وقال انجلز انه فى المجتمع الشـــيوعى لن يفكر أحد فى الاحتفاظ بجيوش دائمة :

أ) لانه لن تكون هنـــاك حاجـــة لاستخدامها فى الحفـــاظ على النظام الداخلى .

ب) ولان حروب الغزو لا يمكن ان توجد فى ظل المجتمـــع الشيوعى .

جـ) ولانه لن تكون هناك حاجة للاحتفاظ بجيش دائم لاغراض الدفاع .

وفوق ذلك فقد أوضح ماركس وانجلز ان هـــذه الجيوش الجديدة يتعين عليها ان تكون ذات تكوين بروليتارى . ولســـوف يكون معظم الضباط نابعين من صفوف البروليتاريا وبطبيعةالحال فان ذلك سوف يتطلب بعض الوقت .

وقد اكد ماركس وانجلز ان حماة المكاسب الاشتراكية سوف يظهرون حتما صلابة لا مثيل لها وبطولة جماعية وذلك طالما أنهم سوف يطلب اليهم فقط الاسهام فى حروب تحريرية وعادلة .

وقد أوضحا أيضا أن انتصار البروليتاريا لن يؤدى الى مجرد احداث تغيير كيفى فى المؤسسة العسكرية وانما سيؤدى أيضا الى ظهور أسلوب جديد للحرب . وقال انجلز ان هذا الاسلوب الجديد سوف يقوم على أساس قضايا تحرير البروليتاريا ، والقضاء على الطبقات الاستغلالية واحداث تغييرات جذرية فى التنظيم السياسى والاجتماعى للمجتمع ، والنمو السريع والمطرد للانتاج الاشتراكى . ان العلم العسكرى الجديد سوف يكون نتاجا لنشوء علاقات اجتماعية جديدة . ان النمو المطرد لقوى الانتاج وزيادة عدد السكان سوف يؤدى بطبيعة الحال الى زيادة القوات المسلحة .

وقد كتب انجلز يقول انه نظرا للتكوين البروليتارى لهذه الجيوش ونظرا لارتفاع مستوى تدريبها ومقدرتها وقوتها ، وقدرتها الفائقة على التعبئة والمناورة ، فان جيوش المستقبل ، جيوش الاشتراكية سوف تكون أكثر تفوقا من جيوش البرجوازية .

هذه هى أهم المنطلقات النظرية التى وضعها مؤسسا الشيوعية العلمية حول المؤسسة العسكرية للبروليتاريا ، من خلال قيامهما بتحليل تفصيلى لتاريخ الحروب والفن العسكرى وتعميم خبرات النضال الثورى للبروليتاريا ضد البرجوازية .

ولقد أسهم لينين بدوره اسهاما كبيرا سواء فيما يتعلق بالدراسة النظرية أو حل المشكلات العلمية لاقامة المؤسسة العسكرية لدولة البروليتاريا . ولقد انطلق لينين من المفهوم الماركسى لفترة الامبريالية ، ومن تحليله للحروب التى نشبت فى العصر الحديث تحليلا علميا . ومن دراسته المتأنية للفن العسكرى ، ومن استخلاصه لتجارب الصراع المسلح الذى خاضته الطبقة العاملة وخاصة الهبة المسلحة التى نشبت فى موسكو فى ديسمبر ١٩٠٥ ، والهبة المسلحة التى اشتعلت فى بتروجراد فى أكتوبر ١٩١٧ ، ومستفيدا من خبرات الحزب البلشفى فى المجال العسكرى وفى بناء القوى العسكرية السوفيتية .

ولقد تركزت جهود لينين فى هذا الصدد فى فترتين الاولى قبل ثورة أكتوبر والثانية بعدها .

ففى خلال فترة النضال للاطاحة بحكومة الاستغلاليين وجه لينين الجهود الحزبية نحو تأسيس منظمة عسكرية للطبقة العاملة قادرة على الاسهام فى تحقيق هذا الهدف .

وعندما كان لينين يصوغ المبادىء التنظيمية والسياسية والنظرية للحزب الماركسى الروسى اهتم اهتماما بالغا بهذه المسألة .

وفى كتابه « ما العمل ؟ » أعلن لينين أن العمل على نشر الافكار الثورية فى صفوف الجيش والبحرية وتكوين قواعد حزبية للحزب الاشتراكى الديمقراطى فيها يمثل واجبا أساسيا .

وفوق ذلك فان لينين هو الذى وضع مشروع البرنامج الاول للحزب البلشفى حول المسألة العسكرية .

ويحدد هذا البرنامج سياسة الحزب تجاه الجيش القديم معتبرا اياه الاداة الاساسية للدولة البرجوازية ، ويحدد ايضا الواجبات العملية التى يتعين القيام بها من أجل قيام البروليتاريا بتكوين مؤسستها العسكرية ومن أجل كسب العمال والفلاحين المجندين فى صفوف الجيش القديم الى جانب الثورة . وقد دعا هذا البرنامج الى الغاء الجيش النظامى القديم والاكتفاء بالجماهير الشعبية المسلحة . ولقد اتخذت هذه الخطوة ذات المغزى السياسى البالغ الاهمية تمشيا مع تعاليم ماركس وانجلز واتباعا للنصيحة التى قدمها لينين . فهى تدعو الى تسريح الجيش النظامى بشكل عام وبشكل خاص تسريح الجيش القيصرى الذى كان اداة لقهر العمال بواسطة مستغليهم .

وقد أوضح هذا الموقف ايضا صحة الخط الذى انتهجه حزب لينين منذ البداية ، موقف المعارضة الحاسمة للعسكرية وللسباق المحموم نحو التسليح ولحروب الغزو . ومن ناحية اخرى فقد أوضح البرنامج الطريق لتنظيم القوات المسلحة للثورة التى كان يتعين عليها ضمان النصر للعمال والفلاحين وحماية مكتسباتهم . وتحقيقا لهذا الهدف سعى لينين والبلاشفة الى حشد الجنود ، والبحارة الروس ، فى غمار النضال الثورى النشيط .

وقد أشار لينين فى مقاله « القوات المسلحة والثورة » الذى كتبه فى عام ١٩٠٥ الى الاثر الحاسم الذى تلعبه عملية احلال الشعب المسلح محل الجيش النظامى بالنسبة للثورة فى روسيا . لقد كتب لينين قائلا : « دعونا نقتلع هذا الشر من جذوره ، دعونا نطح بهذا الجيش القائم برمته ، لينـدمج الجيش فى صفوف الشعب المسلح ، ليقدم الجنود معلوماتهم العسكرية لافراد الشعب ، ولتختف هذه المعسكرات ولتحل محلها مدارس عسكرية شعبية . وفى هذه الحالة فان اية قوة فى الارض لن تستطيع الاعتداء على روسيا . لن يستطيع احد الاعتداء على روسيا اذا كان يحمى حريتها شعب مسلح استطاع ان يطيح بالطغمة العسكرية ، شعب استطاع ان يحول جميع الجنود الى مواطنين وجميع المواطنين الى أشخاص قادرين على حمل السلاح .. أى الى جنود » .

وهكذا فان لينين قد حدد الطريق وهو احلال الشعب المسلح محل الجيش النظامى . والحقيقة ان الطريق الى التخلص من جيش البرجوازية لم يكن مجرد تسريحه بعد الثورة ، وانما بتسليح العمال والفلاحين وكسب الجنود والبحارة الى صف الثورة فى غمار عملية النضال الثورى .

وقد أوضح لينين الحاجة الملحة لاقامة جيش ثورى وحدد طريقة تكوينه والواجبات التى ستلقى على عاتقه ، وحدد دوره فى تحقيق الثورة البرجوازية الديمقراطية التى يتعين مواصلتها حتى تتحقق الثورة الاشتراكية . وقد أوضح لينين ايضا أن الجيش الثورى هو التجسيد الفعلى للمؤسسة العسكرية للطبقة العاملة التى تناضل من أجل اقامة دكتاتورية البروليتاريا . وقد كتب لينين قائلا « اننا بحاجة الى الجيش الثورى لان القضايا التاريخية العظمى لا يمكننا أن نحل الا **بالقوة** ، وفى الصراع الراهن فان **التنظيم الذى يجسد هذه القوة** هو المؤسسة العسكرية » .

ووفقا للتعريف الذى وضعه لينين « فان القوة العسكرية للشعب الثائر يتعين عليها ان تتكون من ثلاثة مكونات أساسية :

(١) الجموع المسلحة للبروليتاريا والفلاحين .
(٢) فرق طليعية منظمة من ممثلي هاتين الطبقتين .
(٣) بعض قطاعات الجيش التي على استعداد للانضمام الى جانب الشعب .

وسوف تلعب البروليتاريا المسلحة الدور الاساسي في هذا الجيش وذلك طالما أن « البروليتاريا هي وحدها التي تستطيع ان تخلق نواة صلبة للجيش الثوري ، صلبة سواء من ناحية المبادىء أو من ناحية الانضباط ، صلبة في تنظيمها وفي بطولتها خلال مجرى الصراع » .

ولقد صاغ لينين القضايا المتعلقة بضرورة تكوين القوات المسلحة للبروليتاريا المنتصرة — وبأهدافها وواجباتها في الدفاع عن المكتسبات الاجتماعية والسياسية التي أحرزها الشعب العامل في غمار نضاله الثوري . ولقد برهنت أفكار لينين على صحة الافكار الماركسية التي تحدد أن تأسيس الجيش الثوري هو واجب أساسي لحزب الطبقة العاملة . أن الشعب العامل بحاجة الى جيش ثوري ليخوض غمار هبة مسلحة وليكفل امكانية التقدم السلمي للثورة ، وليسحق الثورة المضادة بالداخل وليصد جيوش المتدخلين الاجانب .

وعندما قام لينين باستخلاص الدروس المستفادة من ثورة (١٩٠٥) ركز اهتمامه للاشكال السلمية وغير السلمية للنضال الثوري وللدور القيادي الذي يلعبه الحزب في النضال المسلح للبروليتاريا . وصاغ لينين فكرته المعروفة والتي تقول انه خلال الحرب الاهلية فان النموذج المطلوب للحزب البروليتاري هو نموذج الحزب المقاتل .

ولقد نجح لينين في تطوير البرنامج العسكري للثورة البروليتارية تطويراً خلاقاً . وقد طور أيضا التعاليم الماركسية حول الحروب العادلة والحروب غير العادية . وكان لينين أول من وضع تحليلا علميا لحروب عصر الامبريالية واوضح وجهات نظر الاشتراكيين الديمقراطيين الثوريين حول موضوع الحرب . وكان لينين اول مناضل ماركسي يقدم أفكاره حول الحرب الدفاعية عن الوطن الاشتراكي .

ففى ظل الامبريالية يتزايد نفوذ العسكرية تزايدا مطردا ويتزايد السباق المحموم نحو التسلح فالبرجوازيون فى قبضتهم قوى عسكرية هائلة ليجابهوا بها البروليتاريا . وقد لاحظ لينين « أن تسلح البرجوازية لمجابهة البروليتاريا هى واحدة من اهم واخطر واعمق حقائق المجتمع الرأسمالى الحديث » .

وعندما كان لينين يفند مواقف انتهازيى الدولية الثانية الذين كانوا يقفون ضد تسليح البروليتاريا ، دافع فى نفس الوقت عن نقاط البرنامج الماركسى حول المسألة العسكرية وأوضح ان تسليح البروليتاريا ضرورى من أجل تطوير الصراع الطبقى ومن اجل خوض غمار الثورة الاشتراكية .

وقد كتب لينين قائلا « يتعين علينا ان نرفع شعار : تسليح البروليتاريا من أجل هزيمة البرجوازية وتجريدها من ممتلكاتها ونزع سلاحها . وهذا هو التاكتيك الوحيد الذى يمكن أن تتبناه طبقة ثورية ، التاكتيك الذى ينبع منطقيا ، بل وتمليه طبيعة **التطور الموضوعى** للعسكرية الرأسمالية .

وبعد ان تجرد البروليتاريا البرجوازية من سلاحها ، هنا فقط يمكنها — دون أن تخون رسالتها التاريخية العالمية — أن تلقى بجميع الاسلحة الى سلة المهملات ، ولسوف تفعل البروليتاريا ذلك حتما **ولكن فقط عندما يتحقق هذا الشرط الذىأشرنا اليه وليس قبله باى حال من الاحوال »** .

ولقد كانت تعاليم لينين فيما يتعلق بالتسليح الشامل لجموع الشعب تعاليم غاية فى الاهمية . لقد نادى لينين بتأسيس ميلشيا بروليتارية ذات ضباط منتخبين من صفوفها ، ونادى بالغاء الحاكم العسكرية ، مع العمل فى نفس الوقت على الاهتمام اهتماما خاصا بتدريب البروليتاريا تدريبا عسكريا وباعداد كوادر عسكرية . وقد اكد لينين على أن هذه الواجبات ضرورية بل وحتمية موضحا ان تطور الثورة سوف يجبر البروليتاريا على أن تتبنى هذا البرنامج وليس غيره .

وخلال عملية الاعداد لثورة اكتوبر الاشتراكية وفى غمار الممارسة الفعلية للثورة قدم لينين افكارا خلاقة جديدة حول

الاطاحة بجهاز الدولة البرجوازية واقامة المؤسسة العسكرية للدولة الاشتراكية .

وفى « موضوعات ابريل » تحدث لينين عن السوفيتيات باعتبارها الشكل الذى تتمثل فيه ديكتاتورية البروليتاريا . ان القسمة الاساسية التى تميز السوفيتيات عن الجمهورية الديمقراطية البرجوازية هى ان السوفيتيات تطيح بجهاز القهر الممثل للدولة الاستغلالية « الجيش - البوليس والجهاز الحكومى » وتحل محله سلطة الشعب المسلح .

ووفقا للتحديد الذى صاغه لينين تسعى الثورة الاشتراكية للاطاحة بالجهاز العسكرى البيروقراطى القديم بانتهاج طريقين محددين . **الاول :** تسليح العمال وتشكيل الميليشيا البروليتارية وفرق الحرس الاحمر . **والثانى :** العمل على بث الروح الثورية فى صفوف الجيش والبحرية وكسب الجنود والبحارة الى صف البروليتاريا .

وفى بعض كتاباته مثل « خطابات من بعيد » و « حول الميليشيا البروليتارية » ناقش لينين فكرة تشكيل القوات المسلحة للطبقة العاملة مع تكوين ميليشيا بروليتارية وأوضح ان الفرق الاساسى بين الميليشيا البروليتارية وبين بوليس وجيش البرجوازية .. يتمثل فيما يلى :

(١) أن ميليشيا البروليتاريا منظمة مسلحة للشعب العامل من أجل تحريره تحريرا تاما من قهر الاستغلاليين ومن اجل ضمان نجاح الثورة الاشتراكية .

(٢) انها قوة مسلحة شعبية بالفعل ليس فقط لانها تخدم مصالح العمال وانما لانها ملتصقة اشد الالتصاق بجماهير الشعب وليست منفصلة عنها .

(٣) انها تجمع بين المهام المسلحة ومهام الدولة الاخرى وتحل محل الجيش النظامى والبوليس ، هذه القوات المسلحة التى كانت تتسلط على الجماهير والتى كانت منفصلة عنها اشد الانفصال .

والحرس الاحمر هو الشكل المثالى للميليشيا البروليتارية . وتتكون فرق الحرس الاحمر من اكثر العناصر الممثلة للطبقة

العاملة وعيا ، وتشكل فى كل المراكز الصناعية الهامة . ولقد كان الحرس الاحمر الذى بلغ تعداده ٢٠٠,٠٠٠ فى أكتوبر ١٩١٧، كان القوة الضاربة الاساسية لثورة أكتوبر الاشتراكية .

ولقد كان قيام الحزب بتشكيل فرق الحرس الاحمر كمنظمة مسلحة للبروليتاريا أرساء للاسس التى تم على اساسها تشكيل جيش دولة المستقبل البروليتارية .

لقد بدىء فى تسليح البروليتاريا وفى تشكيل وحدات الحرس الاحمر بينما كان الجيش القديم لا يزال موجودا . وكان على الحزب ان ينجز هذه الواجبات فى وجه مقاومة مسعورة من قبل البرجوازية ومن قبل الاحزاب البرجوازية والبرجوازية الصغيرة .

ولقد أبدى لينين اهتماما بالغا بتأسيس منظمات ديمقراطية فى الجيش والبحرية وهو أمر كان يعتبره لينين الخطوة الاولى نحو تحطيم جهاز الدولة البرجوازية . وكان يتعين أن ترتبط هذه الخطوة بالدرجة الاولى بتكوين لجان منتخبة من الجنود والبحارة سواء فى الفرق المحاربة أو فى فرق الامدادات وعلى هذه اللجان أن تسهم بدور نشيط فى سوفيتيات مندوبى العمال والجنود .

لقد وجه لينين ضربة قاضية للبرجوازية ولعملائها فى صفوف حركة الطبقة العاملة الذين كانوا يتهمون الحزب البلشفى بأنه « يضعف » من قوة الجيش . لكن الحزب الشيوعى قد أنجز واجبه الاممى بأن جرد الاعيان والبرجوازية من قواتهم العسكرية ، ودعا الجنود والبحارة الى تنظيم نشاط سياسى وعمل على كسبهم الى صفوف الثورة .

ولقد قام الحزب البلشفى بنشاط واسع فى هذا الصدد . وما لبث الجزء الاكبر من جنود الجيش والبحرية أن اهتم بقضية الثورة وساند البلاشفة مساندة نشيطة . ولقد اوضحت انتخابات الجمعية التأسيسية ذلك بجلاء . ففى شهرى اكتوبر ونوفمبر ١٩١٧ كان نصف الجيش يقف الى جانب البلاشفة . وفى الجبهتين الشمالية والغربية وهما أكثر الجبهات أهمية حصل البلاشفة على أصوات الغالبية العظمى ، حصلوا على أكثر من مليون

صوت مقابل ٤٢٠٠٠ر٤٢ حصل عليها الاشتراكيون الثوريون . وقد حشد البحارة الثوريون فى اسطول البلطيق (١٢٠٠٠٠ر١٢٠ تقريبا) كل أصواتهم لصالح البلاشفة . وهكذا هزم المنشفيك والاشتراكيون الثوريون هزيمة ساحقة .

وقد اوضحت هذه الحقيقة الافلاس التام للمنشفيك والاشتراكيين الديمقراطيين قبيل هبة أكتوبر المسلحة ، واوضحت النفوذ الواسع الذى كان يتمتع به الحزب البلشفى وسط صفوف الجيش والبحرية .

لقد قدم لينين خلال فترة ما قبل ثورة أكتوبر الحل النظرى لكثير من القضايا الهامة التى عالجتها الماركسية حول قضايا الحرب والجيش والحاجة الى بناء منظمة عسكرية جديدة للدولة البروليتارية واساليب بناء هذه المنظمة .

وهكذا فان لينين قد أعد الحزب لممارسة التطبيق العملى للواجبات المتعلقة بالقوات المسلحة والتى نشأت فى أعقاب انتصار ثورة أكتوبر .

وبعد الثورة ، واصل لينين تطويره للنظرية الماركسية حول المنظمة العسكرية للطبقة العاملة . وفى هذه الفترة ركز لينين جهوده حول القضايا النظرية المتعلقة ببناء وتدريب وتعليم أول جيش لدولة بروليتارية . لقد اتقن لينين أسس العلم العسكرى السوفيتى واشرف على بناء الجيش الاحمر وعلى عملياته ضد أعداء الجمهورية السوفيتية .

وكان لينين وهو يحسم قضايا النظرية العسكرية وقضايا التطبيق ينطلق من الظروف التاريخية المحددة التى نشأت نتيجة لقيام دولة السوفييت ، ومن تفهمه للمبادىء الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى يتعين بناء الجيش على أساسها ، وتفهمه لتوازنات القوى فى العالم . وقد اشار لينين الى انه « سوف تحدث سلسلة من التصادمات الرهيبة بين الجمهورية السوفيتية والدول البرجوازية . واذا ما ارادت الطبقة القائدة — البروليتاريا — ان تتولى زمام السلطة فانه يتعين عليها ان تثبت قدرتها على ذلك بواسطة منظمتها العسكرية » .

لقد أوجد لينين الحلول الذكية للقضايا المتعلقة بالاطاحة بالجيش القديم ، وحدد تحديدا علميا الوسائل الواجب اتباعها في بناء الجيش الاشتراكي الجديد . وقد أوضح لينين — واضعا في اعتباره الخبرة التاريخية — ان بناء جيش اشتراكي هو عملية معقدة تتوقف أولا وقبل كل شيء على الاطاحة بالجيش القديم وعلى تعليم الجماهير وتطوير وعيها ، ومنحها منطلقا جديدا لفهم الخدمة العسكرية .

وقد أوضح لينين في كتاباته أن العناصر التالية تمثل شروطا حاسمة لبناء ودعم قوى الجيش السوفيتي ، وهذه العناصر هي :

القيادة السياسية للحزب الشيوعي . تغييرات جذرية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . النمو الفعلي للاهتمامات الاشتراكية للعمال والفلاحين وقدرتهم على المبادرة . استخدام القوى الثورية في الجيش والبحرية القديمين . التمسك الحازم بالتوعية الاشتراكية في الجيش الجديد . استعداد الجماهير العاملة للتقدم لحماية المكتسبات الاشتراكية بالسلاح .

وهكذا فان الماركسية اللينينية قد أثبتت أن تأسيس المنظمة العسكرية للبروليتاريا هو نتيجة موضوعية وطبيعية للثورة الاشتراكية وانه بذلك — وبذلك فقط — يمكن للبروليتاريا متحالفة مع كادحي الفلاحين أن تقيم سلطتها السياسية وتدعمها ، وأن تحقق اصلاحات جذرية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسة وان تكفل انجاز عملية البناء الناجح للمجتمع الاشتراكي .

ولقد كانت أحدى المنجزات الهامة التي قدمها لينين انه قد حدد بوضوح تام القسمات والملامح المميزة للقوات السوفيتية المسلحة ، موضحا طبيعتها الاجتماعية ورسالتها التاريخية ، ومحددا مصادر قوتها وفعاليتها والفروق الاساسية بينها وبين الجيوش الرأسمالية .

ولقد كانت هذه المنجزات بحق اسهاما جديدا في النظرية الماركسية حول المنظمة العسكرية للدولة الاشتراكية .

وقد أوضح لينين أن السمة الاساسية التي تميز القوات السوفيتية المسلحة هي أنها نتاج لثورة اكتوبر الاشتراكية وحصن

يحمى الحكومة السوفيتية ، انها تحمى مصالح الجماهير العاملة والمنجزات الاشتراكية . لقد أكد لينين أن المنظم والقائد والمعلم للقوات السوفيتية المسلحة هو الحزب الشيوعى . القائد والمرشد للمجتمع السوفيتى كله .

ان القوات المسلحة فى البلدان الامبريالية تخدم الطبقات الاستغلالية وتعمل كأداة أساسية لفرض سياستها الرجعية الداخلية والخارجية على السواء . ووفقا لما كتبه لينين فان الجيوش البرجوازية هى العون التقليدى للنظام القديم والدعامة الاساسية للنظام البرجوازى وللسيطرة الرأسمالية ، وهى الاداة لاستمرار فرض عبودية وخضوع الشعب العامل لرأس المال . وفى الجيوش الرأسمالية ، نجد أن الضباط الكبار هم أنفسهم من أفراد الطبقات الاستغلالية وهذه الحقيقة توضح سر العداء الطبقى السافر بين الضباط وجماهير الجنود .

وقد أشار لينين المرة تلو الاخرى الى أن خبرة بلدان أوربا الغربية قد أوضحت بما لايدع مجالا للشك الطبيعة الرجعية للجيوش الرأسمالية . وعلى أية حال فان القوات السوفيتية المسلحة قد أعلنت بجلاء أنها شىء مختلف تماما سواء فى محتواها الاجتماعى أو فى رسالتها التاريخية وهى تعكس فى بنائها وفى تنظيمها النموذج الاجتماعى للدولة الاشتراكية وتتمسك بالمبادىء التنظيمية للمجتمع الجديد ، وهى تواكب باستمرار التقدم الذى تحرزه الدولة السوفيتية .

لقد كانت الطبقة العاملة ، والحزب الشيوعى ،والسوفيتيات هى المرشد والملهم فى بناء الجيش الاحمر . وقد بدأ ذلك واضحا من تشكيل الهيئات القيادية الجديدة فى الجيش ومن بث روح النظام فى صفوفه ، ومن تشكيل شبكة واسعة من الخلايا القاعدية للحزب فى مختلف فصائل الجيش ومن اعتبار وحدة القيادة أكثر أساليب العمل نجاحا فى ادارة الفرق .

وقد أعرب لينين عن تقديره العميق للجهود الذى بذلها الحزب الشيوعى والطبقة العاملة للعمل على اشراك ممثلى غالبية الفلاحين الفقراء فى تأسيس الجيش الاشتراكى . والحقيقة أن قيام التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين هو الذى مكن من

اقامة الجيش الاحمر كجيش شـــعبى حق يمثـل العمـــال والفلاحين .

ولقد كان الاعتماد المستمر على تطبيق سياسة الطبقةالعاملة فى المجال العسكرى مسألة مهمة فى بناء هذا الجيش الشـــعبى الجبار . ولقد تضمنت كتابات لينين وصفا عبقريا لطبيعة القوات السوفيتية المسلحة باعتبارها دعامة الحـــكومة السـوفيتية والحارس البطل للمنجزات الاشتراكية العظيمة . وقد تحـدث لينين فى خطاب له القاه فى حفل تخريج الدفعة الاولى من رجال الجيش الاشتراكى فى ١ يناير ١٩١٨ .. تحدث عن الرســالة التاريخية للقوات السوفيتية المسلحة . وحيا طلائع المتطوعين فى الجيش الاشتراكى وعبر عن ثقتــه الكاملة فى انهم قادرون على تأسيس جيش ثورى حق وقال « لقد تكون هذا الجيش ليحمى منجزات الثورة وليحمى سلطة الشعب ، ليحمى سوفيتات ممثـلى الجنود والعمال والفلاحين ، ليحمى كل هـــذا النظام الجـديد الديمقراطى ، ليحميه ضد هجمات جميع اعداء الشعب الـذين يبذلون اقصى ما يستطيعون من جهد ليدمروا الثورة . »

وقد حدد لينين هؤلاء الاعداء قائلا انهم رأسماليو جميـــع العالم الذين ينظمون حربا صليبية ضد الثورة الروســية التى تمثل فجر الخلاص لعمال العالم أجمع .

ولقد تحددت الطبيعة الشعبية للقوات السوفيتية المسلحة والمهام التاريخية التى وكلت اليها فى المرسوم الصادر عن مجلس قوميسيرى الشعب والمعنون « حول تنظيم الجيش الاحمرللعمال والفلاحين » والصادر فى ١٥ يناير ١٩١٨ .. وقد شــارك لينين شخصيا فى ادخال تعديلات هامة على مشروع هذا المرســوم ، وقد تضمنت هذه التعديلات تحديدات أكثر دقة ووضوحا حول الطبيعة الاجتماعية لجيش الدولة الاشتراكية وحول الدور الذى يتعين عليه القيام به . وقد اوضحت هذه الوثيقة أن الجيش القديم كان اداة للقهر الطبقى الذى تمارسه البرجوازية ضــد العمال ، و أنه بانتقال سلطة الدولة الى أيدى العمال والطبقـات الكادحة فانه من الضرورى تشــكيل جيش جـديد ، يكون دعامة للسلطة السوفيتية وعونا للثورة الاشتراكية المرتقبة فى اوربا .

وقد كتب لينين فى سبتمبر ١٩١٨ تحت عنوان « تحية الى الجيش الاحمر الذى استولى على كازان » واصـــفا الجيش الاحمر بأنه طليعة نضال المستغلين للاطاحة بالاستغلاليين ، ووجه تحية حارة للمعارك البطولية التى تخوضها القوات الســوفيتية دفاعا عن سلطة السوفييت .

وقد أشـــار لينين اكثر من مرة الى أن العمال قد ادركوا بأنفسهم الدور التاريخى لهذا الجيش الجديد . وعرفـــوا ان الجيش الاحمر يحمى مصالحهم الحيوية . وأن هذا الادراك هو الذى منح السلطة السوفيتية قوتها غير المحدودة .

ان أفكار لينين ومنجزاته النظرية حول الاصـل الاجتماعى والمهام التاريخية للقوات السوفيتية المسلحة قد نمت وتطورت فى البرنامج الثانى للحزب ثم تطورت مرة اخرى فى قرارات المؤتمر الثامن للحزب حول المسألة العسكرية .

ان البرنامج الذى أصدره المؤتمر الثامن للحزب قد أوضـح انه فى خلال فترة تحلل النظـــام الامبريالى وتزايد حدة الحرب الاهلية ، فى هذه الفترة لم يكن من الممكن لا الابقاء على الجيش القديم ولا اقامة جيش جديد يكون كما يدعون فوق الطبقات أو يقوم على تمثيل كل طبقات الامة .

وقد اعلن البرنامج « ان الجيش الاحمر كأداة لديكتاتورية البروليتاريا يتعين عليه أن يتخذ صبغة طبقية واضحة أى أنـه يتعين أن يتكون اساسا من البروليتاريا ومن العنـــاصر شـــبه البروليتارية فى صفوف الفلاحين » . وقد أكد المؤتمر الثامن فى قراراته « ان المغزى التاريخى لتشكيل الجيش الاحمر يكمن فى انه أصبح أداة اشتراكية للدفاع عن البروليتاريا وفقراء الفلاحين وحمايتهم من مطامع اغنياء الفلاحين والبرجوازية الذين يستندون الى الامبريالية الاجنبية » .

ومع انتصار الاشتراكية فى اتحاد الجمهوريات الســـوفيتية الاشتراكية فان الحاجة الى استمرار تدعيم القـــوات المسلحة وتزايد قدراتها كانت ترجع الى عناصر خارجية فقط ، ذلك ان الطبقات الاستغلالية المحلية كانت قد صفيت تماما وتحققت وحدة لا تتزعزع للمجتمع السوفيتى .

والحقيقة أنه فيما يتعلق بالاوضاع الداخلية فان الاتحاد السوفيتي ليس بحاجة مطلقا الى الجيش ، لكنه طالما بقى المعسكر الامبريالي مصدراً لخطر الحرب ، وطالما أنه لم يتم النزع التام والشامل للسلاح فان الحزب الشيوعي السوفيتي يجد أنه من الضروري الاحتفاظ بالقوة الدفاعية للدولة السوفيتية وأن يواصل اعداد قواته المسلحة لتصل الى المستوى الذي يكفل لها الحاق هزيمة حاسمة وكاملة بأي قوة تجرؤ على الاعتداء على الاتحاد السوفيتي .

ان القوات المسلحة السوفيتية ستظل دوما الحارس الجبار للحكومة السوفيتية وفي خلال فترة الحرب الاهلية ثم في خلال الفترات الحالكة للحرب الوطنية العظمى برهن الجيش السوفيتي على أنه بحق نتاج لجماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين .

ولقد كانت قيادة الحزب الشيوعي اللينيني مصدرا أساسيا لقوة وفعالية القوات السوفيتية المسلحة وضمانا لان تستمر هذه القوات حارسا يعتمد عليه السلام وامن كل المعسكر الاشتراكي .

ولقد كان الجيش والبحرية السوفيتية بالتصاقهما الوثيق بالجماهير العريضة للشعب العامل تجسيداً للفكرة الماركسية عن الشعب المسلح . وتتضح الصبغةالشعبيةالحقةللقواتالسوفيتية المسلحة بجلاء من طبيعة الدور الذي تقوم به في حماية منجزات الاشتراكية والدفاع عن المصالح الحيوية للشعب العامل . وتتضح ايضا من طبيعة تكوينها وتنظيمها .

وفور انتصار ثورة اكتوبر أعلن لينين أن التسليح الشامل لجماهير الشعب وتسريح الجيش القديم يمثلان معا الواجب الاساسي الذي يجابه الحزب في المجال العسكري .

ان وجهة النظر الماركسية حول ضرورة تسليح الشعبوتسريح الجيش النظامي تحمل في طياتها مغزى طبقيا عميقا . أن فكرة تسليح البروليتاريا ونزع سلاح البرجوازية لاتعني مطلقا مجرد توزيع السلاح على اى فرد من المواطنين ، فهي قد تعني تشكيل ميلشيا بروليتارية أو تأسيس جيش نظامي اشتراكي .. أو هما معا . ويتوقف ذلك بطبيعة الحال على الظروف الموضوعية للفترة التاريخية المحددة .

لقد أدرك لينين الارتبــاط الوثيق بين تسليح الجماهير وبين طبيعــة الســلطة الســوفيتية وفي كثير من كتاباته وصف لينــين الســوفيتات كشكل جماهيري للحكم يؤدي الى قيام نموذج من المؤسسة العسكرية يختلف اختلافا تاما عن الجيش القديم وقادر على تملك قوى ضخمة وعلى النضال بكفــاءة عالية وذلك بفضــل علاقاته الوثيقة بالجماهير .

وعندما واجه لينين مسألة الدعم الشامل للسلطة السوفيتية وجه نداء للطبقة العاملة وللفلاحين الفقراء والجنود والبحارة لكي يحموا منجزات الثــورة ، ولكي يسهموا بمبادراتهم الخلاقة في صياغة أسس تكوين المنظمة العسكرية . لقد كان على الجنود أن يمتزجوا بصفوف العمال تحت قيادة السوفيتات بهدف تحقيق كل ما هو ضروري لحماية الثورة .

وقد حدد لينين في عديد من كتاباته وخطبــــه سلسلة من المنطلقات لعمليــة التسليح الشامل للشعب . وكم شــعر لينين بالسعادة عندما رأى العمال يتحمسون بدافع ذاتي لعملية ممارسة الحكم وتنظيم القوة المسلحة اللازمة للحفاظ على نظــام الحكم الجديد . وقد أشار لينين الى أن عملية الاثارة التي شنتها جموع العمال من أجل تأسيس الجيش الاحمر كانت عملية ناجحة تماما.

وبينما كان لينين يعدد مزايا النظام السوفيتي على الديمقراطية البرجوازيه أشــار الى أهمية أن التركيب الاجتماعي والســياسي لجيش الدولة البروليتارية يتعين عليه أن يختلف اختلافا تاما عن جيش البرجوازية . لقد مكن قيام النظام السوفيتي من خلق قوات مسلحة من العمال والفلاحين ذات اتصــال وثيق بجماهير العمال والكادحين .. اتصال لم يتمتع به جيش من قبل .

ولولا هذا الاتصال الوثيق لأصبح من المســتحيل تحقيق أحــد الشروط الاساسية لانتصار الاشتراكية وهو تسليح العمال ونزع سلاح البرجوازية .

وقد قام المؤتمر الثــامن للحزب بوضع الخطط التفصيليــة للسياسة المتعلقة بتطوير القوة العسكرية السوفيتية . وقد أكد المؤتمر أن ضرورة توجيه ضربة مباشرة وفورية للاعداء الطبقيين

فى الداخل والخارج تتطلب بشكل حتمى تشكيل قوة بروليتارية مسلحة تتخذ شكل ميليشيا للعمال والفلاحين . وفى اليوم التالى مباشرة لنشوب ثورة أكتوبر كان يتحتم على الدولة السوفيتية أن تقيم جيشا جديدا يتكون من جماعات المتطوعين ثم تبعث ذلك باعلان التعبئة العامة . ونظرا للطبيعة الطبقية وللتركيب الاجتماعى للجيش الاحمر فانه لم يبن على نمط فرق الميليشيا وانما اتخذ سواء فى أشكال تكوينه أو تدريبه طابع الجيش النظامى .

وفيما بين ۱۹۲۳ و ۱۹۳۹ استمرت عملية بناء القوات السوفيتية المسلحة على أساس المزج بين النظامين .. التجنيد الاجبارى فى جيش نظامى والميلشيا المحلية . وفى ۱۹۳۹ ونظرا لتزايد خطر الحرب اكتفت القوات السوفيتية المسلحة بنظام واحد هو التجنيد الاجبارى للجيش النظامى ولا يزال هذا النظام مطبقا حتى الان . ويجب أن نضع فى اعتبارنا أن بناء القوات السوفيتية المسلحة كان يعتمد باستمرار على الخدمة العسكرية العامة وعلى تطبيق مبدأ الخدمة العسكرية الاجبارية بالنسبة لجميع المواطنين .

وهكذا فان القوات السوفيتية المسلحة التى تكونت من بين صفوف الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين وتحت قيادة الحزب الشيوعى بزعامة لينين .. هذه القوات المسلحة قد أصبحت بالفعل جيشا شعبيا . فهى تجسد على أساس طبقى الفكرة اللينينية حول التسليح الشامل للجماهير .

وتتميز الفترة الراهنة بتزايد حدة الصراع الطبقى بين القوى الدولية الرامية لتحقيق التقدم الاجتماعى وبين الرجعية الامبريالية . وتمثل الحقيقة التالية أحد القوانين الموضوعية فى عصرنا الراهن : كلما أحرزت الاشتراكية مزيدا من النجاحات ، وكلما دعمت مراكزها ، كلما أصبحت قوى الرجعية الامبريالية أشد ضراوة فى هجومها على مجموعة الامم الاشتراكية وعلى مكونات المجتمع الاشتراكى .

فلن تكون الامبريالية .. امبريالية حقا اذا تركت الارض تنسحب من تحت أقدامها دون مقاومة الى الحد الذى يحدث تغييرا أساسيا فى التوازن العالمى بين القوى الطبقية .. لصالح

الاشتراكية . ان الامبريالية تبذل اقصى ما تستطيع من جهد لتدمر مواقع الاشتراكية ولتقلل من نفوذها . ان السياسة التى تنهجها الدول الامبريالية وتصرفاتها العملية توضح كيف أن الامبرياليين لم يكفوا عن محاولاتهم لاستخدام القوة لايقاف التقدم الاجتماعى للجنس البشرى . وهم يلجأون الى المغامرات العسكرية والى شن هجمات ايديولوجية وسياسية ضارية ضد المعسكر الاشتراكى وضد الحركات الثورية .

ان الرجعيين الامبرياليين يعتمدون على الثورات المضادة فى الداخل وعلىالعناصر الشوفينية والاصلاحية واليسارية المتطرفة، انهم يحاولون أن يفسدوا الوعى الطبقى لدى جماهير العمال وأن يبثوا الفرقة فى صفوفهم وأن يقضوا على روح التضامن والوحدة بين القوى الثورية المعادية للامبريالية .

وهكذا فان واجب الدفاع عن المكتسبات الاشتراكية يظل حتى الان احدى المشكلات البالغة الأهمية فى التطور العالمى وفى كل النشاطات السياسية والايديولوجية والنظرية للاحزاب الشيوعية والعمالية .

وخلال النضال لتحقيق هذا الواجب فان الاحزاب الشيوعية والعمالية تستند دوما الى تعاليم لينين حول الدفاع عن الثورة الاشتراكية وعن المكتسبات الاشتراكية . فان هذه التعاليم تمثل الاسس النظرية لسياسة واستراتيجية وتكتيك الاحزاب الشقيقة فى نضالها من أجل احراز مزيد من التقدم للاشتراكية وكفالة أمن شعوب البلدان الاشتراكية .

يقول لينين ان الثورة لاتصبح ذات معنى الا عندما تعرف كيف تحمى نفسها ، كيف تحمىنفسهاسياسيا واقتصاديا وايديولوجيا وتحمى نفسها باستخدام القوة المسلحة ، تحمى نفسها من الثورة المضادة بالداخل ومن الامبريالية العالمية ، فبدون مساندة الامبريالية العالمية فان الثورة المضادة بالداخل لاتستطيع الاستمرار بأى حال من الاحوال .

وقد حذر لينين دائما من التهاون مع الثورة المضادة ، الاداة والدعامة الاجتماعية للامبريالية العالمية . وقال لينين أن عناصر

الثورة المضادة « هم أسوأ أعداء الشعب الباسل فهم أعداء مهرة شرسون مدربون ينتظرون بصبر ودأب اية فرصة تسنح لينسجوا مؤامراتهم .. ويجب ألا تتسامح مطلقا مع هؤلاء الاعداء الشرسين للشعب العامل » .

وعندما كان لينين يعدد جهود الحكومة السوفيتية ضد الثورة المضادة المحلية وضد التدخل الاجنبى فى فترة الحرب الاهلية ، ركز بشكل ملحوظ على الدور الحاسم الذى لعبه الحزب الشيوعى فى تنظيم الدفاع الوطنى وفى حماية المكتسبات الاشتراكية . كما أنه قام فى نفس الوقت بشرح الجوانب المختلفة لعملية الدفاع المسلح عن الدولة الاشتراكية .

وقد كتب لينين « ان الاشتراكية تعارض استخدام العنف ضد البشر بشكل عام » لكنه مضى قائلا : ان الامر يصبح سوقية واضحة وتخليا عن الثورة اذا تصورنا ان الاشتراكية تعارض العنف الثورى . لقد أكد لينين انه يتعين على المرء أن يفرق بين العنف الثورى والعنف الرجعى المضاد للثورة . ان العنف الثورى ضد الاستغلاليين هو الرد الطبيعى على ما يستخدمونه وما تستخدمه الثورة المضادة من عنف . وقد علمنا لينين انه فى غيبة العنف الثورى ضد الاعداء المفضوحين للعمال والفلاحين فانه يستحيل علينا سحق المقاومة التى يبديها الاستغلاليون ويستحيل الدفاع عن الاشتراكية والثورة .

وقد طور لينين تعاليم ماركس وانجلز حول دولة الشعب العامل ومن خلال التطوير ومن خبرة الاتحاد السوفيتى وغيره من البلدان الاشتراكية ثبت أن الواجب الاساسى للدولة الاشتراكية هو مواصلة عملية البناء للمجتمع الجديد . واذا ما لجأت الدولة الاشتراكية الى العنف دفاعا عن المكتسبات الاشتراكية فهى تلجأ اليه مضطرة تحت ضغط قوى الثورة المضادة .

وقد القى لينين عبء القيام بهذا الواجب الهام ، واجب الدفاع عن المنجزات الاشتراكية على عاتق المؤسسة العسكرية للطبقة العاملة .. ذلك الجيش الجديد ذو النمط الاشتراكى . ولقد قام الحزب الشيوعى السوفيتى بتكوين هذه المؤسسة العسكرية .. القوات المسلحة السوفيتية التى ادت بشرف

رسالتها التاريخية ولا تزال تواصل اداء هذه الرسالة . ولعل خير دليل على ذلك هو ما أظهرته من وطنية فائقة وروحا أممية خلال الحرب العالمية الثانية .

ان أفكار لينين حول الدفاع عن الاشتراكية والمنجزات الثورية للشعب ذات مغزى عالمى بالغ الاهمية . وقد أثبتت التجربة العملية أن الانحراف عن تعاليم لينين سوف يعرض المكتسبات الثورية للشعب لخطر جسيم .

وخير مثال على ذلك هو الاوضاع فى تشيكوسلوفاكيا حيث استطاعت الثورة المضادة ان تشن هجماتها ضد النظام الاشتراكى .

وباستطاعتنا ان نتذكر أيضا كيف شن أعداء الثورة فى المجر بمساندة الرجعية الامبريالية هجوما شديدا ضد الاشتراكية منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما.لكن الشيوعيين المجريين مستندين الى تأييد الطبقة العاملة وغالبية الشعب والى الوحدة الاخوية مع البلدان الاشتراكية الاخرى استطاعوا صد هجمات الرجعيين والحفاظ على الاشتراكية .

وتكشف لنا حقائق الاوضاع فى تشيكوسلوفاكيا كيف أن قوى الرجعيين المعادين للاشتراكية والتى تحاول ان تتستر خلف شعارات نشر « الديمقراطية » و « الليبرالية » انما تعمل فى واقع الامر على القضاء على الدور القيادى للطبقة العاملة وحزبها الشيوعى بهدف الاطاحة بالدعامة الاساسية للنظام الاشتراكى .

والحقيقة أن هذه النشاطات المعادية للثورة قد شجع عليها وجود بعض العناصر اليمينية الاصلاحية داخل الحزب الشيوعى . ولقد كانت قيادات هذه العناصر اليمينية على علاقة وثيقة بالقوى المعادية للثورة .

ولقد نجحوا بالفعل فى التأثير على قسم من الشعب وخدعوه بشعاراتهم الاشتراكية الزائفةوبديماجوجيتهم القومية ، والحقيقة أنه حتى فى صفوف الشيوعيين توجد بعض العناصر التى تفتقر الى الوعى والايمان الطبقى الراسخ . وللاسف فان أعضاء الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى قد تهاونوا كثيرا تجاه الاعمال

الخطيرة التى ارتكبتها عناصر الثورة المضادة والعناصر اليمينية وتجاه تكتيكاتها واساليبها فى العمل واهدافها الحقيقية . ولم يدركوا أن عناصر الثورة المضادة في جمهورية تشيكوسلوفاكيا يتحالفون ويستندون استنادا مباشرا فى كل تحركاتهم الى الرجعية الامبريالية العالمية والى القوى المناهضة الشيوعية فى العالم .

ان اضعاف الدور القيادى للحزب الشيوعى يؤدى بالضرورة الى اضعاف الدور القيادى للطبقة العاملة وللدولة الاشتراكية التى تأسست بهدف الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة وكل الشعب وعن مكتسباتهم الاشتراكية ولتتصدى منذ الوهلة الاولى لأى تحرك ولو طفيف من جانب القوى المعادية للثورة المستندة الى الامبريالية العالمية .

ولقد استفادت العناصر المعادية للاشتراكية من الاوضاع التى كانت سائدة فى تشيكوسلوفاكيا واستطاعت أن تسيطر على أجهزة الاعلام وأن تعزلها عن نفوذ الحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى وأن تستخدمها ضد الحزب وضد الشعب وضد البلدان الشقيقة .

وفوق ذلك فان الاصلاحيين والانتهازيين اليمينيين سعوا الى تقويض النشاط الايديولوجى والنظرى للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى ، وسارعت القوى المعادية للثورة على الفور للاستفادة من هذا الوضع وشنت هجوما عنيفا على الماركسية اللينينية وعلى النظام الاشتراكى محاولة أن تفرض الايديولوجية البرجوازية بدلا من النظرية الشيوعية وأن تبذر فى عقول الجماهير بذور الشك فى الاشتراكية .

وكان هذا ـ فى المدى الطويل ـ يمثل تهديدا خطيرا للمكتسبات الاشتراكية للشعب التشيكوسلوفاكى .

وبعد دراسة مستفيضة للوضع الذى كان يهدد بمخاطر جمة قرر الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى وضع قرارات اجتماع براتسلافا موضع التطبيق ، ووافقت هذه الدول على تقديم عون عاجل للشعب التشيكوسلوفاكى الشقيق ، بما فى ذلك تقديم عون عسكرى .

لقد شعرت الاحزاب الماركسية اللينينية فى البلدان الاشتراكية وشعوب هذه البلدان جميعا ، شعرت بأن ثمة واجبا جماعيا يتعين عليها القيام به وهو أن تعمل معا لحماية حرية واستقلال أى بلد شقيق وحرية واستقلال كل المعسكر الاشتراكى ، شعرت بواجبها الاممى تجـاه التشيك والسلوفاك ، بواجبها تجـاه كل الشعوب الشقيقة ، وكل الحركة الشيوعية والعمالية العالمية وحركة التحرر الوطنى فى العالم أجمع ، شعرت بواجبها تجاه الاجيال الحاضرة والاجيال المستقبلة من المناضلين دفاعا عن الاشتراكية والشيوعية.

لقد أكد لينـــين أن الدفاع عن المكتسبات الاشــــتراكية هو الواجب الاممى الاول الملقى على عاتق عمـــال البلدان التى تبنى الاشتراكية ، بل وكل الحركة البروليتارية فى العالم . لقد علمنـا لينين أن ندافع عن المصالح القومية والاممية معا خلال عملية بنـاء الاشتراكية .. أن ندافع عنهما كواجبين متلازمين لا يمـكن فصل أحدهما عن الآخر ، وأدان لينين أية محاولة لوضع واحد منهما فى مواجهة الآخر . ولم يغفر مطلقا خطأ هؤلاء الذين حاولوا أن يغلقوا على الاشـــتراكية « حدودهم القومية » و « أن يتخلوا عن بقيـة العـالم » .

وقد ادان لينين الموقف الذى يتخـذه هؤلاء الذين يفتقرون الى الاحساس بالاممية الاشتراكية ووصفهم بانهم مجرد عمـلاء للاخلاقيات البرجوازية يخونون الثورة الاشتراكية العالمية لحساب مصالح قومية ضيقة .

ونحن نعرف جيدا كيف أن لينين قد أعرب عن اهتمامه البالغ بالمساندة الاخوية التى قدمتها بروليتاريا العالم للشعب العـامل فى روسـيا خلال عمليـة الدفاع عن ثورة أكتوبر من المتـدخلين الاجانب والحرس الابيض فى أعوام ١٩١٨ — ١٩٢١ . وأوضـح لينين كيف أن هذه المساندة هى اعلان واضح للتضامن بين الطبقة العـاملة العـالمية واعلان عن الولاء لمبـادىء وأهداف الاممية البروليتارية .

ولقـد كتب لينين كثيرا عن الدور الاممى الذى يتعين عـلى الطبقـة العاملةالسوفيتية القيـــام به وأبرز القضايا الاساسية المتعلقة بتوعية الجماهير بالروح الاممية البروليتارية وفقـــا للسياسة الاممية للحزب الشيوعى .

ومع قيام المعسكر الاشتراكي العالمي ، واجهت الاحزاب الماركسية اللينينية مهمة خطيرة هي مجابهة القوى المسلحة الموحدة للامبريالية بالقوى المسلحة الموحدة للاشتراكية . ولقد تقدمت الاحزاب الشقيقة لقيام بهذا الواجب ايمانا منها بالتعاليم اللينينية . انهم جميعا يهتدون بالنداء الذي اصدره لينين في عام ١٩٢٠ أثناء الحرب الاهلية مؤكدا اهمية قيام تحالف عسكري بين قوى الشعب السوفيتي ، تحالف يدعمه حزب لينين . وقد جاء في هذا النداء « اننا نحن الذين نواجه قوى ضخمة تحشدها ضدنا الامبريالية ، اننا نحن الذين نناضل ضد الامبريالية نشكل تحالفا يتطلب وحدة عسكرية وثيقة ، ونحن لن نسمح مطلقا بأي انتهاك لهذه الوحدة ، ونعتبره خيانة النضال ضد الامبريالية العالمية .. اننا ننادي بأن الوحدة المساحة لقواتنا جميعا هي مسألة حتمية ، وأي انحراف عن هذه الوحدة هو مسألة لايمكن السكوت عليها ».

ولقد وجدت هذه الكلمات تجسيدها المادي في معاهدة وارسو التي عقدت بين الدول الاشتراكية الشقيقة ، والتي تمثل حصنا منيعا ضد المعتدين الامبرياليين وعنصرا هاما في ضمان سلام أوربا وأمن العالم .

ويواصل الرجعيون الامبرياليون محاولاتهم لبذل كل جهد ممكن لاضعاف التحالف العسكري بين البلدان الاشتراكية . وقد ساندهم في محاولاتهم هذه كل أعداء الثورة وأعداء الاشتراكية في تشيكوسلوفاكيا . لقد بذلت هذه العناصر محاولات مفضوحة وعلنية لتحطيم معاهدة وارسو . لقد وضع أعداء الشعب التشيكوسلوفاكي مخططاتهم على أساس المطالبة بحياد تشيكوسلوفاكيا وانسحابها من منظمة اتفاقية وارسو .

فماذا يعني ذلك كله ؟

ان هؤلاء الذين يسعون للعمل ضد الوحدة الاممية البلدان الاشتراكية ، انما يعملون لضرب المكتسبات الاشتراكية وزيادة مخاطر العدوان الامبريالي ضد البلدان الشقيقة .

ان هؤلاء الذين يسعون الى تحطيم القدرة الدفاعية لمجموعة الدول الاشتراكية ككل انما يسعون بنفس الدرجة لاضعاف القدرة الدفاعية لبلدهم .

ومنـذ سنوات عديدة كان لينين يقـول « ان هؤلاء الذين يستخفون بأهميـة تنظيم الدفاع عن البلد الذى انتصرت فيـه البروليتـاريا هـم هؤلاء الذين يدمرون الروابط مع الامميـة الاشتراكية » .

ان الدول الاعضاء فى معاهدة وارسو قد اوضـحت بجلاء فى جميع الوثائق والبيانات الصادرة عنها أن الدفاع عن الاشتراكية فى كل بلد من بلدان المجموعة الاشتراكية وفى البلدان الشقيقة هو واجبها الاممى الاساسى . وهـذا هو بالفعل موقف ثورى حق ، موقف ماركسى لينينى يتمشى مع مصـالح الاممية الاشـتراكية والتقدم الاجتماعى فى العالم كله .

ان البيان الصادر عن المفاوضات السوفيتية ـ التشيكوسلوفاكية والتى جرت فى أغسطس ١٩٦٨ فى موسكو يعلن أن الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا سوف يظلان ــ كما كانا من قبل ــ صفا واحدا ضد القوى العسكرية والانتقامية والنازية الجديدة التى تسعى الى تغيير نتـائج الحرب العالمية الثـانية وانتهاك الحدود الاوربيـة القائمة الآن .

ولقد أكدت الدولتـان الشقيقتان مرة أخرى تصميمها على دعم القوى الدفاعيـة للمجموعة الاشتراكية وعلى زيادة فعـالية معاهدة وارسو .

لقد اكد لينين تأكيدا قاطعا ان الطبقة العاملة فى الجمهورية السوفيتية سوف « تساعد الحركات الثورية الشقيقة لبروليتاريا كل البلدان .. سوف تساعدها بأقصى ما تستطيع من قوة وبكل الوسائل التى فى استطاعتها » .

ولقـد ظل الشعب السوفيتى مخلصـا دوما لهـذه التعـاليم اللينينيـة . فهو يقـدم ــ مسـتندا الى قـواه الاقتصـادية والعسكرية ــ كل المساعدات اللازمة للشعب الفيتنامى الذى يشن حربا عادلة ضـد المعتدين الأمريكيين وللشـعوب العربية التى تعرضت لعدوان العسكريين الاسرائيليين ، ويسـاند كل هؤلاء الذين يناضلون من أجل السلام والديمقراطية والتحـرر الوطنى والاشتراكية .

ان المساعدة التى قدمتها الدول الخمس الشقيقة المتحالفة

للشعب التشيكوسلوفاكي هي جزء لا يتجزأ من النضـــال الذى تخوضه الاشتراكية لتحسين مواقعها .

وهكذا فان الشعب السوفيتي ينهج على نهج التعاليم اللينينية ى ظل قيادة الحزب الشيوعي ، وهو مصمم على أن يضع التعاليم اللينينية موضع التطبيق العملي ، اخلاصا منه لواجبــه الاممي . ولسوف يواصل الشعب السوفيتي بناءه للشيوعية ، ويواصل دعم قدراته السياسية والاقتصــــادية والدفاعية .. وحماية مكتسبات الاشتراكية العالمية .

آراء لينين حول تنظيم المؤخرة

لقد اهتم لينين اهتماما كبيرا بالدور الذى يمكن أن تلعبه المؤخرة فى الحروب الحديثة وبمبادىء تنظيم مؤخرة مستقرة ومتماسكة خلف الجيش الاحمر خلال فترة التـــدخل الاجنبى المسلح والحرب الاهلية فى روسيا .

وبينمــا كان لينين يطور الافــكار الماركســية حول الحرب والجيش ، اكد بشكل قاطع الدور الحاسم الذى تلعبه المؤخرة فى الحروب الحديثة واشار الى افكار انجلز حول التأثير الحاسم للعناصر الاجتماعية والاقتصادية فى مجرى الحرب .

وسوف نحاول هنا ان نقدم الخطوط العريضة للجهود التى بذلها لينين فى مجال الانتاج وفى مجال تسليح الجيش الأحمر خلال عام ۱۹۱۸ .

وخلال عملية تشكيل جيش احمر نظامى يعتمد على التسليح الشامل للجماهير برزت مشكلة أساسية هى ضـمان امدادات مستمرة من الأسلحة والذخائر والملابس والتموين لهذا الجيش وذلك فى وقت سادت فيه الفوضى الاقتصادية وامتدت آثارها الى الصناعة والزراعة والنقل .. وفى وقت كان العدو فيه يسـيطر على أكثر المناطق انتاجا للمواد الخام والوقود والمواد الغذائية وقد ادى ذلك الى تعقيد المشكلة تعقيدا بالغا .

لكن الروح المعنوية العالية لدى أفراد الجيش الاحمر جعلتهم يمتازون على جيوش الامبرياليين والحرس الأبيض الجيدة التسليح والتموين . ولم يكن لينين يتصور وهو يركز اهتمامه على الروح المعنوية للجبهة والمؤخرة ان هذا هو العنصر الوحيد الذى يكفل

قوة الجيش الأحمر . لقد أكد لينين ان الحماس وحده ، وان الروح المعنوية وحدها ليست كافية مطلقا لهزيمة عدو جيـــد التسليح . وقد أوضح لينين ان الانتصار فى الحرب الحديثة يعتمد الى حد كبير على تسليح الجيش تسليحا كافيا ومناسبا . ان التفوق العددى وحده لا يمكنه أن يكسب حربا حديثة ، وكذلك فان الأفكار التقدمية والمشاعر الجياشة لا يمكنها وحدها ان تحقق النصر هى ايضا . ان الاعتماد الأساسى فى هذا التغلب على القوى البشرية والموارد المادية للعدو انمـا يرتكز على التزود بالأســلحة الكافية وبغيرها من التجهيزات اللازمة للحرب . وفى النهاية فان قوة السلاح هى التى تحسم مقدرة اى جيش . ان الطريق الوحيد للنصر هو ان تهزم العدو . وأى نقص فى السلاح يمكن ان يؤدى الى الهزيمة .

وعندما كان لينين يتحدث عن أن المؤخرة المستقرة هى شرط ضرورى للنصر فقد كان يضع فى اعتباره مجموعة من الاعتبارات المعقدة مثل طبيعة النظام الاجتماعى للدولة ، اسـلوب التنظيم السياسى الاقتصادى للمجتمع ، الروح المعنوية للجماهير ومدى تلاحمها ، الايديولوجية ، العلم والمقدرة على ادارة كافة اجهزة الدولة بكفاءة . وقد أوضح لينين أنه الى جانب ضرورة كفالة مستوى متقدم من الانتاج المادى ومصادر اقتصادية أكثر وفرة ، فانه يتعين ايضا أن تكون الدولة قادرة على تعبئة امكانياتها بسرعة، وان تستخدم هذه الامكانيات بكفاءة تمكنها من مساندة قواتها المسلحة بصورة قادرة على أن تكفل لها النصر فى حرب حديثة . وكلما كان النظام الاجتماعى متقدما ، وكلما توافرت فيه شروط افضـــل لتطوير القوى الانتاجية ، تزايدت فرصة احراز النصر .

وقد كتب لينين قبيل انتصار ثورة أكتوبر تحت عنوان « هل يستطيع البلاشفة الاحتفاظ بسلطة الدولة » يقول ان الطريق نحو بناء دفاع قوى عن الوطن ومؤخرة تسند الجيش هو الاسراع بعملية البناء الاشتراكى فى البلاد . وقد أوضح لينين ان البلد الذى يطيح بحكم الرأسمالية ، ويمنح الفلاحين الأرض ، ويمكن العمال من ادارة البنوك والمصانع ، ثم تحويل هذه البنوك والمصانع الى ملكية للدولة ، مثل هذه الدولة يمكنها أن تحوز قوى دفاعية أضعاف أضعاف الدولة الرأسمالية .

وكان لينين يرى ان النظام الاشتراكى المتقدم هو مصدر صعود وتماسك المؤخرة السوفيتية فى المعارك ضد الامبريالية . وقد كان لينين على حق فى ذلك . فان تأسيس وتدعيم الدولة السوفيتية قد منحها امكانيات لا حصر لها لتنظيم مؤخرة راسخة . وهذه الامكانيات تنبع من الاجراءات التى تتخذها هذه الدولة مثل تأميم الصناعات الاساسية ، والارض ، ووسائل النقل ، واحتكارات التجارة الخارجية ، واستئصال الأسلوب الاقطاعى واعادة الارض الى الفلاحين . وباختصار فانها تنبع من الاجراءات التى تجعل من كل الثروات الطبيعية ووسائل الانتاج الرئيسية ملكية عامة للشعب كله .

ولقد كانت الاصلاحات الاقتصادية الثورية ضرورية وحاسمة فى بناء مؤخرة راسخة . فقد اعيد بناء الاقتصاد على اسس جديدة تماما لا علاقة لها مطلقا بالأسس القديمة . وقد اكد لينين أنه بدون ذلك لما استطاعت الجمهورية ان تصمد ولو لوقت قصير من الزمن .

ولقد قام الحزب الشيوعى بمعظم الاصلاحات الاشتراكية ليتغلب على الصعاب الاقتصادية ولضمان وجود مؤخرة راسخة وقد ساندته فى ذلك الطبقة العاملة الثورية والفلاحون الفقراء . وقد تحدث لينين بصراحة عن المصاعب الجمة والحرمان الشديد الذى ستتعرض له الجمهورية السوفيتية ، وذلك انها قد عزلت عن أغنى وأكثر مناطق البلاد اهمية من الناحية الاقتصادية . فالمناطق التى كان يحتلها المتدخلون والحرس الأبيض فى خريف عام ١٩١٨ كانت تنتج قبل الحرب ٨٥٪ من انتاج روسيا من الحديد و ٩٠٪ من الفحم وتقريبا كل انتاجها من البترول والقطن والسكر وانواع كثيرة من الحبوب . وقد كان فى روسيا ٥ر٤٠٢ مصنع كانت تقوم قبل الثورة بانتاج الذخيرة ومن بين هذه المصانع كان هناك ٣٥٠٠ مصنع فى المناطق التى يحتلها العدو . كذلك فان المراكز الرئيسية لانتاج المعادن فى الاورال والجنوب كانت هى ايضا فى أيدى الاعداء فى النصف الاخير من عام ١٩١٨ . ولم يكن فى يد الدولة السوفيتية سوى المنطقة الوسطى من البلاد وهى منطقة لم تنتج فى عام ١٩١٨ الا ٢ر٣ مليون بود من الحديد

الخام (البود يزيد قليلا عن ١٦ كيلو جراما) ، و ٢ر٧ مليون بود من الحديد المشكل . ووفقا للاحصاء الصناعي الذى جرى فى ٣١ اغسطس ١٩١٨ فان ٣٨٪ من المؤسسات كانت معطلة عن العمل بسبب نقص المواد الخام والوقود . كذلك فان الخسائر التى سببتها الحرب الامبريالية ، وتعبئة العمال فى صفوف الجيش الأحمر ، ومشاركتهم فى فرق جمع المحاصيل ، كل ذلك أدى الى نقص حاد فى العمال المهرة .

كذلك فان الحصار الاقتصادى قد ضاعف من خطورة الموقف خاصة وان المصانع الروسية كانت تعتمد الى حد كبير على استيراد الآلات والفحم والسلع الأولية وكثير من المواد الاستراتيجية من الخارج . وقد أدى الى مضاعفة سوء الوضع ذلك التوزيع العشوائي وغير المخطط للصناعة فى البلاد ، وهى تركة موروثة من النظام القديم ، ذلك ان معظم المراكز الانتاجية الهامة ومؤسسات الصناعة الثقيلة والخفيفة كانت مركزة فى المنطقة الوسطى من البلاد وبتروجراد .. وهى أماكن بعيدة عن مصادر المواد الخام .. وفى مطلع عام ١٩١٨ توقفت مصانع كثيرة عن العمل فى الانتاج الحربى وحولت الى انتاج آلات زراعية وانتاج سلع أخرى يمكن مبادلتها مع الحبوب ، وحولت كذلك لاصلاح خطوط السكة الحديد . وقد أسهم لينين شخصيا فى صياغة عدد من القرارات التى أصدرها مجلس قومسييرى الشعب والتى كانت تستهدف اعادة بناء الاقتصاد الذى خربته الحرب والتى تحاول ان تخفف الأعباء عن الجماهير التى كانت تعانى معاناة شديدة .

وكان النداء المعنون « الى كل عمال روسيا » والذى صاغه لينين ووافق عليه مجلس قومسييرى الشعب وأصدره فى ٩ ديسمبر ١٩١٧ يعلن انه اذا ما أمكن توقيع اتفاقية للهدنة مع الدول الأوربية الكبرى ، هذه الهدنة التى يمكن ان تتطور فى المستقبل الى سلام قائم على أسس ديمقراطية وشامل لكل شعوب أوربا ، فى هذه الحالة فان الحكومة السوفيتية ستعتبر ان انتاج الأسلحة والتجهيزات العسكرية « اهدار كامل لجهود الشعب وثرواته » .

وهذه القرارات التى تنبع من السياسة المحبة للسلام التى تمسكت بها الحكومة السوفيتية تفند الأكاذيب التى يروجها

المؤرخون البرجوازيون والتي يتهمون فيها لينين والبلاشفة بانهم هم الذين اشعلوا نيران الحرب الاهلية بعد ثورة أكتوبر . ويستطيع الانسان ان يرى في مثل هذه القرارات ان الحكومة السوفيتية كانت منذ البداية مهتمة أشد الاهتمام بالتطوير السلمي للاقتصاد .

ويتضح هذا بجلاء من خطة التطوير الاشتراكي للاقتصاد التي وضعها لينين ووافقت عليها اللجنة التنفيذية المركزية لكل الاتحاد السوفيتي في ابريل ١٩١٨ .

وعلى أية حال فان الدولة السوفيتية قد بادرت بوضع خطط خلاقة لصد الأعداء الطبقيين الذين كانوا يستهدفون تحطيم الدولة السوفيتية الوليدة . لقد شن الامبرياليون هجومهم في ربيع عام ١٩١٨ وفي صيف العام نفسه بدأت الاعمال العسكرية للقوى الاساسية من الثورة المضادة .. الأمر الذي دفع العمال الى النهوض لحماية المكتسبات الاشتراكية لتنفيذ واجبات الدفاع ولمضاعفة انتاج الذخائر للجيش الأحمر .

وتحت اشراف لينين وتوجيهاته المباشرة وضع برنامج للدفاع الوطني يستهدف تشكيل وتسليح جيش نظامي جماهيري .

وفي عام ١٩١٨ تمكن الحزب الشيوعي والحكومة السوفيتية من حل مشكلة تسليح وتموين الجيش الأحمر وذلك بفضل :

أولا : بعض الابتكارات الهامة ، تجميع واستخدام الأسلحة والعتاد الحربي من مخلفات الجيش القديم .

ثانيا : تحسين واعادة تنظيم عملية انتاج الذخيرة .

وفي ١٨ مايو ١٩١٨ أصدر مجلس قوميسيري الشعب قرارا بالاستيلاء على مستودعات الاسلحة وخول مكتب الحرب سلطة التصرف في هذه الأسلحة وتجميع الأسلحة من مختلف الاقاليم . وفي ١٠ يوليو ١٩١٨ كان السوفييت يملكون ٣ر١ مليون بندقية و ....ر١٠ مدفع رشاش ، ٨٠٠ مليون طلقة . لكن هذه الكميات سرعان ما تلاشت عندما تصاعد القتال في الجبهة الشرقية واستلزم الأمر تشكيل وحدات جديدة .

وفي ظرف كهذا كان من الضروري زيادة انتاج الذخيرة بأسرع ما يمكن . وبعد أغسطس ١٩١٨ بدأ تدريجيا تحويل الصناعات المؤممة للعمل في المجهود الحربي . واعلنت حالة الطوارىء العسكرية في مصانع الذخيرة . والحقيقة ان صعوبات كثيرة قد اعترضت عملية اعادة التنظيم لانتاج الذخيرة . فمعظم مصانع الذخيرة كانت في ايدي المتدخلين والحرس الأبيض . وبعض مصانع الذخيرة ــ وخاصة مصانع بتروجراد ــ كانت قد نقلت الى منطقة الفولجا والأورال . ولم يبق سوى مصنع صغير للاسلحة في تولا ومصنع للذخيرة في تولا ايضا . لكن انتاج هذين المصنعين قد تزايد الى درجة انه قد حقق في يونيو ــ أغسطس انتاجا يزيد بنسبة ٢٤ ــ ٢٨٪ عن أقصى انتاج وصل اليه في عام ١٩١٦ .

ونظرا لصعوبة هذه الواجبات والالحاح الشديد على انجازها بسرعة فقد كون مجلس قوميسيري الشعب في ١٦ اغسطس ١٩١٨ لجنة خاصة متفرعة عن مجلس الاقتصاد القومي من ممثلين عن المجلس وعن مكتب الحرب والنقابات لتشرف على عملية انتاج الذخيرة . وكانت تعليمات هذه اللجنة ملزمة لكافة الموظفين والافراد . وكانت تعد تقارير اسبوعية ترفعها الى مجلس قوميسيري الشعب .

وفي خريف ١٩١٨ اتسعت رقعة المناطق التي اشتعل فيها القتال وتعين على الحكومة ان تزيد من انتاج الذخيرة . وفي ٢ نوفمبر ١٩١٨ أصدر مجلس قوميسيري الشعب قرارا بعنوان « اجراءات حول تحسين عملية تزويد الجيش الأحمر بالذخيرة » ويتضمن هذا القرار تكليف عدد من المصانع التي كانت تعمل في مجال الانتاج المدني بانتاج الذخيرة للجيش . وفوق ذلك فقد زادت اختصاصات وسلطات اللجنة الخاصة للذخيرة واصبحت مسئولة عن جميع عمليات الامدادات الخاصة بالجيش . كذلك ضمت هذه اللجنة عناصر جديدة منها ممثلون عن اللجنة التنفيذية المركزية والاتحاد العام المركزي لنقابات العمال وقوميسير الشعب لشئون الحرب .

وقد خولت هذه اللجنة سلطة تحويل المصانع من الانتاج المدنى الى الانتاج الحربى وخولت كذلك سلطة تحويل دكاكين الحرفيين الى الانتاج الحربى . كذلك تولت اللجنة مسئولية الاشراف على تجميع وتسجيل وتخزين وتوزيع الذخيرة وكانت تعليماتها فى هذا الصدد ملزمة لأية هيئة أو جهاز رسمى ، كذلك خولت هذه اللجنة حق احالة الأشخاص الذين يعارضون تنفيذ قراراتها أو يضعون العقبات امامها الى المحكمة الثورية .

ولقد بذلت هذه اللجنة جهدا كبيرا فى تنظيم الصناعات الحربية وفى التنسيق بين جهود المؤسسات المختلفة التى تعمل فى مجال الانتاج الحربى وفى العمل على اقامة نظام مركزى لامداد وتموين الجيش الأحمر .

وفى ٣٠ نوفمبر ١٩١٨ تكون مجلس الدفاع تحت قيادة لينين . وكان هذا المجلس يتولى الى جانب الاهتمام بالمسائل الاستراتيجية الهامة ، الاشراف على عمليات الانتاج الصناعى الخاصة بالدفاع . وقد ركز المجلس جهوده على تعبئة الطاقات الصناعية ، وزيادة انتاج صناعة الذخيرة والصناعات الحربية الاخرى ، والعمل على مد هذه الصناعات بالمواد الخام التى تحتاجها وان يشرف على توزيع الموارد المختلفة وفقا لمتطلبات الحرب .

وقد اورد لينين ملاحظة تقول انه لم يعقد اى اجتماع لمجلس قوميسيبرى الشعب او مجلس الدفاع دون أن تناقش فيه مسألة الاحتياطى المتبقى من الفحم والبترول .

لكن ما هى المسائل الأكثر اهمية التى ركز عليها مجلس الدفاع اهتماماته بهدف ضمان قيام مؤسسة عسكرية ذات كفاءة عالية ؟

لقد اهتم هذا المجلس أولا وقبل كل شىء بتدعيم سلطة الشعب فى مجال الاقتصاد الوطنى . لقد كانت الظروف تتطلب أقصى مركزية ممكنة فى ادارة الصناعة وفى توزيع المواد الخام وفى توزيع المنتجات .

وفى ٨ ديسمبر ١٩١٨ أصدر مجلس الدفاع قرارا بعنوان « حول الاسراع والتدقيق فى تنفيذ أوامر الحكومة المركزية وازالة كافة العوائق أمامها » وقد جاء فى هذا القرار « ان الغزو الجديد الذى تقوم به الامبريالية العالمية ، الى الحد الذى أصبحت فيه روسيا معسكرا حربيا ، هذا الغزو يفرض علينا واجبات جديدة ويتطلب حشد كل الجهود . يجب ان تحشد كل طاقات الجمهورية السوفيتية حشدا كاملا ، يجب أن تمركز كافة العمليات ، يجب ان تكفل التنفيذ السريع والدقيق للتعليمات ، يجب ان تطور أعمال الجهاز الادارى السوفيتى بهدف رفع المقدرة الدفاعية الى المستوى المطلوب . وبدون ذلك فان مسألة الانتصار على الامبريالية لا يمكن مناقشتها » .

لقد ألغى القرار الصادر عن مجلس الدفاع كافة القرارات والتعليمات المحلية التى كانت تعوق أو تعطل تنفيذ القوانين والقرارات والتعليمات الصادرة عن السلطة المركزية .

ولقد بذل لينين ومجلس الدفاع جهودا كبيرة من أجل ضمان أكبر اقتصاد ممكن فى استخدام الموارد القومية .

ان هذه القواعد الصارمة مضافا اليها عمليات التنظيم والتطوير فى مجال الاقتصاد الحربى قد أدت الى حشد أقصى القوى الممكنة وتجميع كافة الجهود واستخدامها استخداما صحيحا .

لقد قام مجلس الدفاع بتقسيم المؤسسات الكبرى الى مؤسسات هامة وأخرى أكثر أهمية ورتب الأولويات اللازمة فى توزيع المواد الخام والوقود والمواد الغذائية والقوى العاملة والاخصائيين وتسهيلات النقل .

وثمة مسألة أخرى ذات أهمية كبرى وهى مسألة تحسين انتاجية العمل فى مصانع الذخيرة وغيرها من المصانع .

وقد قال لينين انه من أجل تحسين انتاجية العمل يجب علينا أولا وقبل كل شىء ان نحسن من نظام العمل وان نحدد كميات الزامية للانتاج وأن ندفع أجورا اضافية للعمال الذين ينتجون

كميات تفوق المعدل المطلوب . وان نزود المصانع بآلات أفضــل ، وان تكفل للعمال مزيدا من المواد الغذائية وان تقدم لهم مســاكن أفضل ، وان نحشد الشيوعيين والعمال الأكثر مهارة والاخصائيين للعمل فى المصانع الرئيسية للذخيرة .. وهكذا .. وقد ادى تطبيق هذه القواعد الى زيادة الانتاج بالنسبة للسلع الأكثر أهمية .

ولكى يمكن توفير مزيد من الموارد الاقتصادية لتغطية احتياجات الحرب ، فقد طالب لينين الجيش الاحمر بأن يعمل على تحرير المناطق ذات الاهمية الاقتصادية بأسرع ما يمكن . وفى نهاية ١٩١٨ عندما استطاع الجيش الأحمر ان يحرر منطقة الفولجا الوسطى وشمال أوكرانيا وبعض نواحى الدانوب دعا لينين الى الاسراع باعادة أحياء الصناعة فى هذه المناطق والعمل على استغلال مواردها حتى يمكن للجيش الأحمر أن يواصل هجماته .

وفى بداية ١٩١٩ استطاعت الصناعة الحربية السوفيتية بعد ان تمكنت من استخدام المخزون من المنتجات والأسلحة النصف مصنوعة ومن اصلاح بعض الأسلحة المعطلة .. استطاعت ان تنتج شهريا كمية تتراوح بين ٩٠ ــ ١٠٠ ألف بندقية ، ٥٠٠ ــ ٦٠٠ مدفع رشــاش ، ٤٠ ــ ٥٠ مدفعا ، وأكثر من ٣٥ مليــون طلقة بندقية . بينما قام أكثر من ثلاثمائة مصنع بانتاج حاجات الجيش من الأحذية والملابس وغيرها . لكن ذلك كله لم يكن كافيا لسد الاحتياجات الاستراتيجية للجيش ولهذا فقد تطورت الصــناعة الحربية بسرعة كى تتيح الفرصة لزيادة افراد الجيش ولتســد الاحتياجات المتزايدة للقوات المحاربة فى الجبهــة . وكانت زيادة انتاج المدافع الرشاشة والبنادق والمدافع والطلقات لا تزال تمثل واجبا رئيسيا .

وفى ظل هذا الوضع ، حدد لينين أولويات توزيع الأسلحة ، فأعطى الأولوية للقوات المحاربة فى الجبهة ثم للوحدات النشيطة فى المؤخرة ثم لقوات الاحتياط . ولقد واصل لينين فى كافة مراحل الحرب الأهلية اعطاء الأولوية للجبهة وقد كفل ذلك النجاح فى المهمة كلها .

وفى صيف عام ١٩١٨ توقع لينين أن الجبهة الشرقية ستكون المنطقة الحاسمة فى المعركة كلها ولهذا فقد وجه نصيحته للمجلس العسكرى الأعلى كى يحول اهتمامه من الحدود الغربية وان يعمل على تنظيم وتسليح الفرق الموجودة فى الشرق . بل لقد قام لينين بنفسه بالاشراف على تزويد الفرق المسافرة الى الشرق او العاملة فى الشرق باحتياجاتها . لقد قال لينين « لقد انتصرنا لأننا استطعنا أن نحدد بالدقة ما هو الواجب الأكثر الحاحا والأكثر حسما والاكثر ضرورة . وحشدنا لتحقيقه كل جهود العمال .. بل والشعب بأسره » .

وفى خريف عام ١٩١٨ حدد لينين هدفا جديدا وهو زيادة عدد الجيش ليصبح ٣ مليون جندى . وقام المجلس الثورى للحرب بتشكيل فرق جديدة فى داخل البلاد . وتطلب الأمر مزيدا من الذخيرة . وفى ٧ ديسمبر ١٩١٨ أعدت القيادة العليا للجيش الأحمر تقريرا تشكو فيه من نقص الأسلحة والامدادات والملابس اللازمة لعشر فرق تم تكوينها حديثا .

واخذ لينين مذكرة بكل ما هو مطلوب وفى اليوم التالى مباشرة وجه لينين القرار التالى الى مجلس الدفاع « يجب أن تزود هذه الفرق العشر بالملابس والأسلحة والامدادات وان يرسل أليها أيضا دعاة ثوريون » . وصدرت تعليمات عاجلة الى مكتب الحرب والمجلس الاقتصادى للاتحاد السوفيتى واللجنة الخاصة للامدادات وغيرها من الأجهزة لتوفير المواد اللازمة لزيادة انتاج البنادق والمدافع وغيرها من الامدادات . وخلال شهر ديسمبر خصص مجلس الدفاع خمسة اجتماعات لمناقشة تزويد هذه الفرق العشر بالأسلحة والذخيرة والامدادات والملابس . كذلك قام المجلس باختيار قادة لهذه الفرق وناقش أسلوب ممارسة العمل السياسى بها . وقد قام لينين بنفسه باملاء عدد من القرارات التى صدرت فى هذا الصدد .

ولقد تمكن الحزب والحكومة السوفيتية من سد احتياجات الجيش فى الجبهة بالأسلحة والذخيرة والملابس فى الوقت الذى شن فيه كولتشاك هجومه على الجبهة الشرقية .. وذلك بفضل العمل البطولى للطبقة العاملة ومساهمة الفلاحين الفقراء الجادة .

ولقد كان لينين على رأس هذه الجهود التى بذلها الحزب والحكومة فى تنظيم الدفاع عن الجمهورية السوفيتية وفى بنـــاء الجيش الاحمر وفى ضمان تلاحم المؤخرة . وتحت قيادته اصبحت الجمهورية السوفيتية معسكرا مسلحا موحدا ، لقد نظمت المؤخرة لتخدم الجبهة . ووضعت كل اقتصاديات البلاد ووسائل النقل وكل الأجهزة والمنظمات فى خدمة العمل العسكرى وقد تم ذلك كله فى أقصر فترة ممكنة . لقد وحد الحزب جهود الجبهــة مع المؤخرة تحت شعار لينين « كل شىء من أجل الجبهة ، كل شىء من أجل النصر » .

وقد كتب س.س كامينيف القائد العام للقوات السوفيتية المسلحة خلال الفترة ١٩١٩ ــ ١٩٢٤ عن الأسلوب الثورى والجديد للحرب الذى أبدعه لينين فقال :

« لقد كان ذلك شيئا جديدا تماما فى الفكر العسكرى ان يطلب المرء اخضاع **كافة نواحى الحياة للأمة كلها لمتطلبات الحرب** . وان يوضح بجلاء الفرق بين مهام الجبهة ومهام المؤخرة ولقـــد كانت هذه الأفكار ــ اذا صح التعبير ــ الركيزة الأساسية لعملية تنظيم القتال ، وقد كان وضع هذه الافكار موضع التطبيق علما جديدا فى فنون الحرب » . وفيما بعد كتب س.س كامينييف يقول ان قيادة لينين للحرب الأهلية كانت علما متكاملا للحرب التى تخوضها أمة بأسرها .

ولقد كانت فكرة لينين حول تحويل البلاد بأسرها الى معسكر موحد للقتال ، وخبراته فى توجيه الدفاع عن البلاد وفى تنظيم اقتصاد الحرب تنظيما دقيقـا واهتمامه بمـد الجيش الأحمر باحتياجاته باستمرار .. كان ذلك كله خبرة ثمينة استخدمها الحزب والحكومة السوفيتية فيما بعد خلال الحرب العالمية الثانية عندما تعين على البلاد من جديد أن تعلن التعبئة العسكرية .

ولقد قامت « لجنة الدولة للدفاع » التى كانت قد تكونت بدلا من « مجلس العمال والفلاحين للدفاع » بانجاز عملية التعبئة السريعة لكل قوى البلاد واحتياطاتها بهدف هزيمة العدو هزيمة ســاحقة .

الطبيعة العالمية لخبرة الحزب الشيوعى السوفيتى في مجال بناء القوات المسلحة للبلاد

ان افكار لينين حول بناء الدفاع عن البلاد والخبرة العسكرية الهائلة للحزب الشيوعى السوفيتى قد أصبحت بمثابة تراث بالغ الاهمية بالنسبة لكل الاحزاب الماركسية اللينينية الشقيقة وكل القوى التقدمية التى تسعى لاعادة تنظيم العالم على أسس ثورية .. وتتمشى هذه النتيجة مع فكرة لينين عن المغزى العالمى لثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى والطبيعة العالمية لخبرة الحزب البلشفى .

وقد اوضح لينين فى كتابه « الشيوعية اليسارية عبث أطفال» أن الملامح الاساسية للثورة الروسية ، والملامح الرئيسية لسياسة وتكتيكات البلاشفة سوف تكرر نفسها حتماً فى كل البلدان فى فترة الثورة البروليتارية وخلال عملية التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية . وقد أدان لينين بشدة الانتهازيين اليساريين الذين ينكرون على ثورة اكتوبر الاشتراكية مغزاها العالمى .. وقال لينين « اننا نمتلك الان خبرة عالمية ذات قيمة ، وهى توضح لنا بشكل حاسم أن بعض الملامح الاساسية لثورتنا ذات مغزى ليس محليا أو قوميا أو روسيا فقط .. لكنها ذات مغزى عالمى .. مغزى عالمى بمعنى أنها ذات أهمية عالمية ، وبمعنى الحتمية التاريخية لتكرارها على النطاق العالمى »

وقد أكد لينين أن النموذج الروسى قد قدم للبلدان الاخرى شيئا ما - شيئا ذا قيمة كبيرة - شيئا يمس حياتهم الراهنة وليس مجرد مستقبلهم البعيد .

وتثبت صحة افكار لينين حول الملامح المشتركة والقوانين الموضوعية لعملية تحول البلدان المختلفة من الرأسمالية الى

الاشتراكية من خلال استقراء كل تاريخ التطور اللاحق للحركة العمالية والشيوعية العالمية .

وتعلمنا الماركسية اللينينية أن القوانين العامة للثورة الاشتراكية ولبناء الاشتراكية تعبر عنها في اشكال متعددة بل وشديدة التعدد ، وذلك وفقا للظروف التاريخية المحددة التي تحكم فترة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية .

وقد حذر لينين شيوعيي البلدان الاخرى من النقل ميكانيكيا من النموذج الروسي . وقد أكد على ذلك منطلقا من فكرة أن كل الامم سوف تأتي الى الاشتراكية ، فان هذه مسألة حتمية لكنها لن تأتي جميعا من نفس الطريق ، طالما ان كل منها سوف تضيف شيئا من تجربتها الخاصة الى شكل الديمقراطية أو الى نوع ديكتاتورية البروليتاريا او الى سرعة ادخال التغيير على مختلف مجالات الحياة الاجتماعية .

ان تاريخ تطور النظام الاشتراكي العالمي قد أكد تأكيدا قاطعا القيمة العظمى لافكار لينين . فان ثورات الديمقراطيات الشعبية كانت نتاجا طبيعيا لثورة اكتوبر الاشتراكية تماما كما تنبأ لينين ، اذ تكررت الملامح العامة لثورة اكتوبر في مجرى تطور هذه الثورات . وعلى اية حال فان الظروف التاريخية الجديدة والتي نبعت من اختلاف العصر واختلاف التكوين القومي وبناء الدولة قد ادت الى وجود ملامح خاصة للعمل الثوري وللبناء الاشتراكي ولبناء الدفاع في كل من هذه البلدان .

وقد اشار لينين الى وجود وحدة جدلية بين الملامح المشتركة والقوانين الموضوعية وبين القسمات الخاصة لتطور البلدان المختلفة نحو الاشتراكية . وفي نفس الوقت أكد لينين أن القوانين الموضوعية المشتركة تمثل اهمية قصوى بينما تحتل القسمات الخاصة المرتبة الثانية من الاهمية .

وقد حذرنا لينين وهو يقوم بعملية التمييز الجدلي بين ماهو عام وما هو خاص في خلال عملية الثورة الاشتراكية وبناء

الاشتراكية ، حذرنا من الخلط بين القسمات الخاصة والعامة وحذرنا كذلك من الفصل بين الخاص والعام ، ذلك ان هذاالموقف سوف يؤدى بصاحبه حتما الى هجرة المبادىء الثورية للماركسية وللاممية البروليتارية . والى الانحياز الى مواقع القومية الشوفينية والمراجعة .

وقد أشار لينين فى نفس الوقت الى أن تجاهل القسمات القومية قد يؤدى الى خطر داهم . ذلك ان محاولة النقل الميكانيكى لاشكال ووسائل مستخدمة فى بعض البلدان ، ومحاولة وضعها موضع التطبيق بغض النظر عن القسمات القومية ، والافتقار الى المرونة السياسية واتخاذ موقف جامد ، ، كل ذلك يمكنه ان يؤدى الى تهديد نضال الطبقة العاملة من اجل الاشتراكية والشيوعية بخطر داهم .

وفى وقتنا الراهن حيث تقوم بلدان عديدة ببناء الاشتراكية، فان شعب كل بلد قد أكتسب خبراته القومية الخاصة فى هذا الصدد .

ان كل بلد يسير فى الطريق الاشتراكى يقدم شيئا جديدا ومتميزا من خلال الحركة العامة للملايين نحو المجتمع الجديد . وهذا الاختلاف فى الاشكال والوسائل يمثل خبرة جماعية ذات قيمة عظمى واثراء للنظرية الماركسية اللينينية وللتطبيق العملى للتحويل الثورى للمجتمع ولعملية بناء الاشتراكية والشيوعية .

ان القيمة الاساسية لخبرة الحزب الشيوعى السوفيتى تنبع فى الاساس من حقيقة انه خلال عملية ممارسة الثورة الاشتراكية وبناء الاشتراكية والشيوعية فى الاتحاد السوفيتى قد تأكدت صحة بعض القوانين الاساسية لبناء الاشتراكية والشيوعية . وتتأكد هذه القوانين الان أكثر فأكثر من خلال ممارسة الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكى فى البلدان الاشتراكية الاخرى .

ان الخبرة الواسعة والعميقة للحزب الشيوعى السوفيتى فى مجال التنظيم الثورى للمجتمع وفى بناء الدفاع عن الوطن لهى

خبرة ذات اهمية كبرى بالنسبة لكل الحركة الشيوعية والعمالية العالمية .

ان التطبيق الخلاق لهذه الخبرة يمكن الشعوب الاخرى من الوصول الى الاشتراكية والشيوعية بصورة أسرع وبجهود أقل ، وبأقل ما يمكن من الاخطاء والانحرافات عن الطريق الصحيح .

كذلك فان الطبيعة العالمية للخبرة السوفيتية تمتد بشـــكل مؤكد الى ميدان الخبرة العسكرية .

ان النشاطات العسكرية التى مارستها اللجنة المركزية للحزب السوفيتى تمثل خبرة تاريخية ثمينة وخاصة فيما يتعلق باعادة التنظيم الثورى للمجتمع على اسس الاشتراكية .

وفى وقتنا الراهن تظل مسألة الدفاع عن منجزات الاشتراكية احد القوانين الموضـــوعية الاساســـية فى تحول أى بلد من الراسمالية الى الاشتراكية .

واليوم تؤكد الخبرات المكتسبة للبلدان الاشـــتراكية الاخرى ان التقدم العســــكرى يمثل فى عصرنا الراهن عنصراً هاماً فى الواجبات المشتركة لبناء الاشتراكية والشيوعية .

ان تحليل النشاطات التى قام بها الحزب الشيوعى السوفيتى فى بناء القوات السوفيتية المسلحة يوضح القسمات الرئيســية للخبرات التى يجب توافرها فى انجاز عملية البناء الاشتراكى .

وحتى فى هذه الحدود فانه يتعين علينا الا ننظـــر الى الخبرة السوفيتية كشىء ثابت لا يمكن تغييره .. ان هذه الخبـــرة قد تبلورت من خلال عملية التغيير الجذرى فى الشئون الداخليــة والخارجية للامة فى ظل تطور العلم والتطبيق العسكرى .

ان الخبرات السوفيتية المتراكمة فى مجال التطور العسكرى وفى صياغة مبادئه الاساسية قد صيغت من خلال الحــــروب الظافرة دفاعا عن الوطن الاشتراكى ، والانتصار الساحق الـذى احرزته الاشتراكية فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، والشروع فى عملية البناء الشامل للشيوعية وتغيير ميزان القوى العالمى لصالح الاشتراكية ، والثورة التى تحققت فى مجـال العلم

والتطبيق العسكرى . ومع ذلك فان بعض قسمات هذه الخبرة السوفيتية فى مجال التطور العسكرى قد فقـــدت اهميتها ، والبعض اكتسب معنى جديدا ، بينما بقيت ملامح اخرى محتفظة بجدتها .

ان الملامح المميزة للتطور العسكرى السوفيتى يمكن تلخيصها فى :

* قيادة الحزب الشيوعى لعملية تطوير القوى العســكرية والدفاعية للبلاد .

* تسريح الجيش القديم الذى يمثل جزءا لا يتجزأ من الدولة الرأسمالية والعمل على بناء جيش جديد على نمط اشتراكى .

* بناء القوات المسلحة من خلال المعارك الضارية ضد الثورة المضادة فى الداخل والخارج ومن خلال النضال ضــد معارضى ايديولوجية الحزب سواء العناصر اليسارية أو العناصر اليمينية الانهزامية .

* تأسيس جيش نظامى على درجة عالية من الانضـــباط والتدريب ، ذى قيادة مركزية .

* النمو المتناسب لاسلحة الجيش الاحمر والخدمات المقدمة له ، مع اعطاء الاولوية فى وقتنا الراهن لكتائب الصواريخ .

* أن تكون القوات المسلحة دائما على أهبة الاستعداد لصد أى عدوان امبريالى .

* أن يتولى قيادة الفرقة شـخص واحد وذلك باعتبـــاره الاسلوب السليم لقيادة الفرق .

* التلاحم بين الجيش والجماهير ، كأساس لزيادة القدرة العسكرية للدولة الاشتراكية .

* الاممية — هى احد المبادىء الاساسية فى تطور القـــوات المسلحة .

* القوانين الموضوعية العامة لتطور العسكرية الاشتراكية والتى تنعكس فى الخبرة العسكرية للحزب الشيوعى السوفيتى .



الفهرس صفحة



مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر
(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)



(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)